الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

حوار مع الشيخ:

محمود المراكبي

عبد القادر الجيلاني

الشيخ المفترى عليه

ظاهرة الشطحات

عقيدة ختم الولاية

الطريقة الواحدية

المولد النبوي

تاريخه، حكمه، آثاره

أقوال العلماء فيه على اختلاف البلدان والمذاهب

د. عبد الله الشارف :

تجربتي الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

في هـذا العـدد

الأولى.. الافتتاحية		٣
قالوا في التصوف.. الإمام الفاكهاني		٤
عبادات تحت الضوء.. المولد النبوي تاريخه حكمه آثاره		٥
عقائد تحت المجهر.. عقيدة ختم الولاية عند الصوفية		١١
الطرق الصوفية.. الطريقة الواحدية		١٣
أعلام التصوف.. عبد القادر الجيلاني		١٧
هؤلاء تركوا التصوف.. د. عبد الله الشارف		٢٠
حوارات.. حوار مع الشيخ محمود المراكبي		٢٧
من مشكاة النصح.. ظاهرة الشطحات		٣١
الطريق نحو التزكية.. أسباب المغفرة		٣٤
متابعات	محمد هشام قباني النقشبندي	٣٤
	انعقاد مؤتمر صوفي في إسرائيل	٣٨
	سلسلة مقالات تنتهي بالبراءة منها	٣٨
	مصر: ٥٢ مليون جنيه الحصيلة الرسمية للنذور العام الماضي	٣٨

الهيئة الاستشارية للمجلة:

د. عبدالعزيز آل عبد اللطيف

الشيخ عبد المجيد الريمي

هيئة تحرير المجلة:

حسن بن علي البار
عبد الرحمن بن محمد الهرفي
محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.
- الموضوعات المطروحة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

بريد التحرير:

a@alsoufia.com

الصف والتنسيق:

(www.alsedeeq.info)

الإخراج الفني:

عبد الحكيم قاسم

abdulhakem@maktoob.com

عاش الصحابة الأوائل مع النبي ﷺ حياةً ملؤها المحبة والإجلال، فقد كان النبي ﷺ روح حياتهم، ونور أعينهم، وحشاشة أفئدتهم ؛ ولذا فإنهم ي كانوا يفرحون بلقائه، ويسارعون إليه، ويستجيبون لأمره، بل ويتسابقون إلى امتثاله، وبلغت محبتهم لرسول الله ﷺ أن قدَّموه على المال والأهل والأنفس.

كانت صحبتهم له ﷺ تقوم على الحب، وعلى الإجلال كما أمر الله تعالى: ((فالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). وفي حقيقة الأمر لم تكن محبتهم له ﷺ لمجرَّد أنهم أُمروا بمحبته، وهل المحبة مما يُجبر الناس عليه ؟!. ولكنهم تشرَّبوا محبَّته، حتى خالطت لحومَهم ودماءَهم، فلم يكونوا ليقدروا على الانفكاك منها ؛ ألم يأتهم ((مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))!! ألم يكن ﷺ كما قال الله تعالى عنه: ((فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم))، ألم يكن الميدان العملي لأخلاقه العظيمة ﷺ تعامله مع أصحابه ثم مع من سواهم ؟

لقد سَعِدَ الصحابة ي برؤية رسول الله ﷺ.

وقد سَعِدَ الصحابة ي بمجالسة رسول الله ﷺ.

وقد سَعِدَ الصحابة ي بتعامل رسول الله ﷺ.

وقد سَعِدَ الصحابة ي بدعاء رسول الله ﷺ.

وقد سَعِدَ الصحابة ي بامتثال أمره، واجتناب نهيه، بل والله قد سعد الصحابة ي وتشرفوا بخدمته ﷺ.

كان الصحابة ي خير جيلٍ قدَّروه ﷺ حق قدره، وعرفوا قيمته، وأدركوا فضيلته، واجتهدوا في طاعته؛ فلم يكن لجيل من بعدهم أن يفوقهم، بل قصارى الأمر أن يكون أهل ذلك الجيل من (الَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ).

ولذا فإن العقل، والعاطفة، والتاريخ، ونصوص الوحيين وتصرُّفات أعيان الأمة وكُبرائها، كُلُّ ذلك يدل على تقديم أفعال الصحابة واختياراتهم على أفعال مَنْ دونهم واختياراتهم. وكما أن محبَّتهم لرسولهم وهاديهم ﷺ هي أصدق المحبَّات فإن أدبهم هو أكمل الآداب، وسنتهم هي أقوم السُّنن، وهديهم خصوصاً في تعظيمهم وتعزيرهم وتوقيرهم لحبيبهم وقرة أعينهم ﷺ هو الهدي القويم، والصراط المستقيم فما دونهم مقصرٌ وما فوقهم محسّر، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد تجاوز أقوامٌ هدي الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم:

ومنهم من ظَنَّ أنه يحب النبي ﷺ حبَّاً لم يحبه أحدٌ مثله، وغفل عن المعنى الذي قررناه من بلوغ محبة الصحابة له ﷺ الغاية العُظمى.

ومنهم من عَلِم عظيم محبة الصحابة ي لرسول رب العالمين ﷺ إلا أنه ظَنَّ أن غيرهم يُدرك من الفضائل ومن التأدب معه ﷺ ما لم يدركوه !! وهذا مغرور، متكلِّفٌ، لا يبلغ بتكلُّفه مقصوداً، ولا يكون بابتداعه محموداً.

قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز –الذي اتفقت كلمة المسلمين على فضله ونُبله- :

((قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوم، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفوا، وبِبَصَرٍ نافذٍ كَفُّوا، وهُم عَلَى كَشْفِها كانوا أقْوَى، وبالفضْلِ لَو كان فيها أَحْرى. فلَئِن قُلتم: حَدَثَ بَعدَهُم ؛ فما أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خالفَ هَدْيَهُم، ورَغِبَ عَنْ سُنَّتِهم، وَلَقَدْ وصفوا منه ما يشفي، وتَكلَّموا منهُ بما يَكْفي، فما فوقهُم مُحَسِّر[1] وما دُونهُم مُقصِّر، لقد قَصَّرَ عَنْهُم قَومٌ فَجفَوْا، وتجاوَزَهُم آخَرُونَ فَغلَوْا، وَإنهم فيما بَينَ ذَلكَ لَعَلى هُدىً مُستقيم)).

اللهم اجعلنا مقتفين لآثارهم، متبعين لهديهم، محبين لرسول الله ﷺ حبَّاً يبلِّغنا مرضاتك، ويجعلنا ممن يحبهم رسولك ويرضى عنهم، ولا تحرمنا مرافقته في جناتك جنات النعيم.

---

(١) قال بعض أهل العلم في شرح هذه العبارة: أي من أراد أن يقول: أنا أفضل من الصحابة ؛ ويُثبتَ ما لم يُثبتوه، ويعمل ما لم يعملوه ؛ فهو محسِّر مُنقطع يرجع كليلاً. تيسير لمعة الاعتقاد: ٧٧.

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني

المورد في عمل المولد:

للشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله المتوفى سنة (٧٣٤هـ).

الحمد لله الذي هدانا لاتبّاع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويسَّر لنا اقتفاءَ آثارِ السَّلَفِ الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادثِ والابتداع في الدين.

أحمَدُهُ على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيعٍ الأول، ويسمونه: المولد:

هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحدث في الدين؟

وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيناً، والإيضاح عنه معيَّناً:

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطّالون ، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكّالون، بدليل أنّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً!!

وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، [ولا العلماء] المُتَدَيِّنون - فيما علمت- وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين.

فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً، أو حراماً ، وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

> **لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطّالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكّالون**

أحدهما: أنْ يعمله رجل مِنْ عَيْن مالِهِ لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون [في] ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام، فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام، سُرُج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تَتبعُه، وقلبه يُؤلمُه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف ، لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل، من الدفوف ، والشَّبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المُرْد ، والنساء الغانيات، إما مختلطات بهم، أو مُشْرِفات ، والرقص بالتثنّي والانعطاف ، والاستغراق في اللهو

ونسيان يوم المخاف .

وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهنّ رافعاتٍ أصواتهن بالتَّهْنيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى:((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)) [الفجر:١٤].

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان ، وإنما يحل ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات .

فإنا لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ .

ولله دَرُّ شيخنا القُشيريّ رحمه الله تعالى حيث يقول فيما أجازَناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ
معروف في أيامنا الصعبةْ
وصار أهل العلم في وَهْدَة
وصار أهل الجهل في رُتبَةْ
حادوا عن الحق فما للذي
سادوا به فيما مضى نسبةْ
فقلت للأبرار أهل التقى
والدين لما اشتدت الكُرْبةْ
لا تنكروا أحوالكم قد أتت
نوبتكم في زمن الغربةْ

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى حيث يقول: (لا يزال الناس بخير ما تُعُجِّبَ من العَجَب!!).

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

المولد النبوي

تاريخه، حكمه، آثاره

أقوال العلماء فيه على اختلاف البلدان والمذاهب

د.ناصر بن يحيى الحنيني (*)

• مقدمة: (نداء إلى كل مسلم يريد الوصول إلى الحق وأن يعبد الله على بصيرة).

أخي المسلم، أختي المسلمة: لاشك أننا جميعاً نُكِنُ في صدورنا محبة لرسولنا الكريم، وحبيبنا العظيم وقدوتنا وإمامنا ﷺ وعلى آله وصحبه ومن عمل بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وإن هذه المحبة تعتبر من أصول الدين، ومن لا يحب النبي ﷺ فإنه كافر، وممن نتقرب إلى الله ببغضه، وهي من صفات المنافقين الذين قال الله فيهم أنهم في: (الدرك الأسفل من النار).

وإنني أضع بين يديك هذا البحث المتواضع؛ لتقرأه بعين البصيرة تقرأه بغية الوصول للحق، وتقرأه بعيداً عن التعصب لعلماء بلدك أو مذهبك أو ما تعوّدت عليه، فإن كان ما فيه حقاً؛ قبلته وعملت به طاعة لله ورسوله الذي أمرنا باتباع الحق، وما كان فيه من باطل أو خطأ فأعيذك بالله أن تتبعه؛ لأننا لسنا متعبدين إلا بالحق الذي دل عليه الدليل الشرعي.

وفقنا الله وإياك لسلوك الطريق المستقيم الذي ارتضاه لنا نبينا الكريم، والله الموفق، وعليه المعتمد والاتكال، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

• تاريخه:

إن الناظر في السيرة النبوية وتاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابع تابعيهم؛ بل إلى ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين سنة هجرية لم نجد أحداً - لا من العلماء ولا من الحكام ولا حتى من عامة الناس- قال بهذا العمل أو أمر به أو حث عليه أو تكلم به.

قال الحافظ السخاوي في فتاويه: "عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعد".اهـ[1]

إذن السؤال المهم: " متى حدث هذا الأمر - أعني المولد النبوي- وهل الذي أحدثه علماء أو حكام وملوك وخلفاء أهل السنة ومن يوثق بهم أم غيرهم ؟"

والجواب على هذا السؤال عند المؤرخ السني (الإمام المقريزي) رحمه الله:

• يقول في كتابه الخطط (١/ ص ٤٩٠وما بعدها): " ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم"

قال: " وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي مواسم(رأس السنة)، ومواسم (أول العام)، (ويوم عاشوراء)، (ومولد النبي ﷺ)، (ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، (ومولد الحسن والحسين عليهما السلام)، (ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام)، (ومولد الخليفة الحاضر)، (وليلة أول رجب)، (ليلة نصفه)، (وموسم ليلة رمضان)، (وغرة رمضان)، (وسماط رمضان)، (وليلة الختم)، (وموسم عيد الفطر)، (وموسم عيد النحر)، (وعيد الغدير)، (وكسوة الشتاء)، (وكسوة الصيف)، (وموسم فتح الخليج)، (ويوم النيروز)، (ويوم الغطاس)، (ويوم الميلاد)، (وخميس العدس)، (وأيام الركوبات)" اهـ.

> "عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعد".

• وقال المقريزي في اتعاظ الحنفاء(٢/٤٨)سنة (٣٩٤):

"وفي ربيع الأول ألزم الناس بوقود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر".

• وقال في موضع آخر (٣/٩٩)سنة (٥١٧):

"وجرى الرسم في عمل المولد الكريم النبوي في ربيع الأول على العادة". وانظر (٣/١٠٥).

• ووصف المقريزي هيئة هذه الاحتفالات التي تقام للمولد النبوي خاصة، وما يحدث فيها من الولائم ونحوها (انظر: الخطط١/٤٣٢- ٤٣٣، صبح الأعشى للقلقشندي٣/٤٩٨- ٤٩٩).

• ومن النقل السابق تدبر معي كيف حُشِر المولد النبوي مع البدع العظيمة مثل:

- بدعة الرفض والغلو في آل البيت المتمثل في إقامة مولد علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وسيأتي مزيد بسط لبيان أن الدولة العبيدية - التي تدعي أنها فاطمية- دولة باطنية رافضية محاربة لله ولرسوله ولسنته ولحملة السنة المطهرة.

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

- بدعة الاحتفال بعيد النيروز وعيد الغطاس وميلاد المسيح، وهي أعياد نصرانية.

يقول ابن التركماني في كتابه" اللمع في الحوادث والبدع" (١/٢٩٣- ٣١٦) عن هذه الأعياد النصرانية: "فصل: ومن البدعة أيضاً والخزي والبعاد ما يفعله المسلمون في نيروز النصارى و مواسمهم والأعياد من توسع النفقة " قال: " وهذه نفقة غير مخلوفة، وسيعود شرها على المنفق في العاجل والآجل".

وقال:" ومن قلة التوفيق والسعادة ما يفعله المسلم الخبيث فيما يعرف بالميلادة (أي: ميلاد المسيح)"، ونقل عن علماء الحنفية أن من فعل ما تقدم ذكره ولم يتب منه فهو كافر مثلهم.

وذكر عدداً من الأعياد التي يشارك فيها جهلة المسلمين النصارى، وبين تحريمها بالكتاب والسنة، ومن خلال قواعد الشرع الكلية.

• ذكر من أبطلها من خلفاء الدولة العبيدية الفاطمية:

قال المقريزي في خططه (١/432): "وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة: النبوي، والعلوي، والفاطمي، والإمام الحاضر، وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسي ذكرها؛ فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله، ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها، وإعادتها وإقامة الجواري والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر.."اهـ.

فعلى هذا أول من أحدث ما يسمى بالمولد النبوي هم بنو عبيد الذين اشتهروا بالفاطميين[٢].

• ماذا قال أهل العلم عن الدولة الفاطمية العبيدية التي أحدثت هذا الأمر (المولد النبوي)؟

قال الإمام أبو شامة المؤرخ المحدث، صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (ص ٢٠٠ - ٢٠٢) عن الفاطميين العبيديين:

" أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون، فملكوا البلاد وقهروا العباد، وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلاً، ولا نسبهم صحيحاً؛ بل المعروف أنهم (بنو عبيد)، وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل: كان والد عبيد هذا يهودياً من أهل سلمية من بلاد الشام، وكان حداداً.

وعبيد هذا كان اسمه (سعيداً) فلما دخل المغرب تسمى بـ(عبيد الله) وزعم أنه علوي فاطمي وادعى نسباً ليس بصحيح - لم يذكره أحد من مصنفي الأنساب العلوية؛ بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافه - ثم ترقت به الحال إلى أن ملك وتسمى بـ(المهدي) وبنى المهدية بالمغرب ونسبت إليه، وكان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام، متظاهراً بالتشيع متستراً به، حريصاً على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين جماعة كثيرة وكان قصده إعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهائم، فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالتهم (والله متم نوره ولو كره الكافرون).

أول من أحدث ما يسمى بالمولد النبوي هم بنو عبيد الذين اشتهروا بالفاطميين

ونشأت ذريته على ذلك منطوين، يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسروه، والدعاة لهم منبثون في البلاد يضلون من أمكنهم إضلاله من العباد، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين (٢٩٩) إلى سنة سبع وستين وخمسمائة (٥٦٧).

وفي أيامهم كثرة الرافضة واستحكم أمرهم، ووضعت المكوس على الناس، واقتدى بهم غيرهم، وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام: كالنصيرية والدرزية والحشيشية - نوع منهم- وتمكن رعاتهم منهم لضعف عقولهم وجهلهم مالم يتمكنوا من غيرهم، وأخذت الفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة إلى أن من الله على المسلمين بظهور البيت الأتابكي، وتقدمه مثل (صلاح الدين)؛ فاستردوا البلاد وأزالوا هذه الدولة عن رقاب العباد.

وكانوا أربعة عشر مستخلفاً.. يدّعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي أو يهودي، حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام؛ فصاروا يقولون: الدولة الفاطمية والدولة العلوية، وإنما هي (الدولة المجوسية أو اليهودية الباطنية الملحدة).

ومن قباحتهم: أنهم كانوا يأمرون الخطباء بذلك (أي: أنهم علويون فاطميون) على المنابر، ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها، وخطب عبدهم جوهر الذي أخذ لهم الديار المصرية وبنى لهم القاهرة (المعزية) بنفسه خطبة قال فيها: (اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، معد أبي تميم، الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وسلفه المنتخبين الأئمة الراشدين) كذب عدوّ الله اللعين، فلا خير فيه، ولا في سلفه أجمعين، ولا في ذريته الباقين، والعترة النبوية الطاهرة منهم بمعزل، رحمة الله عليهم وعلى أمثالهم من الصدر الأول.

والملقب بالمهدي - لعنه الله- كان يتخذ الجهال، ويسلطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم، وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين، وأكثر من الجور واستصفاء الأموال وقتل الرجال، وكان له دعاة يضلون الناس على قدر طبقاتهم، فيقولون لبعضهم: (هو المهدي ابن رسول الله ﷺ، وحجة الله على خلقه)، ويقولون لآخرين: (هو رسول الله وحجة الله) ويقولون لأخرى: (هو الله الخالق الرازق)، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تبارك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ولما هلك قام ابنه المسمى بالقائم مقامه، وزاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة، وجاهر بشتم الأنبياء، فكان ينادي في أسواق المهدية وغيرها: (العنوا عائشة وبعلها، العنوا الغار وما حوى) اللهم صل على نبيك وأصحابه وأزواجه الطاهرين، والعن هؤلاء الكفرة الفجرة الملحدين، وارحم من أزالهم وكان سبب قلعهم، ومن جرى على يديه تفريق جمعهم، وأصلهم سعيراً ولقهم ثبوراً

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

وأسكنهم النار جمعاً، واجعلهم ممن قلت فيهم: ((الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)).

ولو وفق ملوك الإسلام؛ لصرفوا أعنة الخيل إلى مصر لغزو الباطنية الملاعين، فإنهم من شر أعداء دين الإسلام، وقد خرجت من حدّ المنافقين إلى حد المجاهرين، لما ظهر في ممالك الإسلام من كفرها وفسادها، وتعين على الكافة فرض جهادها، وضرر هؤلاء أشدّ على الإسلام وأهله من ضرر الكفار، إذا لم يقم بجهادها أحد إلى هذه الغاية مع العلم بعظيم ضررها وفسادها في الأرض " اهـ بتصرف يسير.

وانظر - رحمك الله- إلى ما قرره هذا العالم المؤرخ، وهو قريب عهد منهم، حيث عاش ما بين سنة (٥٩٩- ٦٦٥) للهجرة النبوية، وكيف تألم لما حل بالمسلمين من كرب وضيق من جرّاء حكم هؤلاء الباطنيين، وعلى هذا فالمولد النبوي أصله ومنشؤه من الباطنيين ذي الأصول المجوسية اليهودية المحيين شعائر الصليبية، ونحن هنا نقول لكل منصف: هل يصح أن نجعل أمثال هؤلاء مصدر عباداتنا وشعائرنا؟!

ونحن نقول مرة أخرى: إن القرون المفضلة التي عاش فيها سلفنا الصالح لم يكن فيها أثر لمثل هذه العبادة منهم أو من أعدائهم أو حتى من جهلتهم وعامتهم، أفلا يسعنا ما وسعهم؟!

• بيان حكم المولد النبوي وبيان فساد قول من قال بمشروعيته من أوجه عديدة:

اعلم - رحمني الله وإياك- أن ما يسمى بالمولد النبوي ليس مشروعاً، ولم يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس صحيح، ولا حتى دليل عقلي ولا فطري، وما كان بهذه الصيغة فهو بدعة مذمومة.

قال الحافظ ابن رجب[٣]: "والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه".

ويقول أيضاً[٤]: " فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقاد أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة".

والبدعة كذلك: " ما لم يشرعه الله من الدين، فكل من دان الله بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة، وإن كان متأولاً".[٥]

ويظهر فساد القول بجوازه ومشروعيته من خلال الأوجه التالية:

- الوجه الأول:

أن هذا الفعل لم يفعله النبي ﷺ، ولا أمر به ولا فعله صحابته، ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى، وإنما ظهر- كما تقدم- على أيدي أناس هم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان، وهم الباطنيون.

إذا تقرر هذا، فالذي يفعل هذا الأمر داخل ضمن الوعيد الذي توعد الله عز وجل صاحبه وفاعله بقوله: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)) والذي يفعل ما يسمى بالمولد لاشك أنه متبع لغير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

"والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه"

- الوجه الثاني:

أن الذي يمارس هذا الفعل واقع فيما حذر منه النبي ﷺ حين قال: " إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" وجاء في رواية أخرى: (وكل ضلالة في النار).

فقوله: (كل بدعة ضلالة) عموم لا مخصص له، يدخل فيه كل أمر مخترع محدث لا أصل له في دين الله، والعلماء مجمعون على أنه أمر محدث فصار الأمر إلى ما قلنا أنه بدعة ضلالة تودي بصاحبها إلى النار، أعاذنا الله وإياك منها.

الوجه الثالث:

أن فاعل هذه البدعة غير مأجور على فعله؛ بل مردود على صاحبه لقول النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ولايكفي حسن النية؛ بل لابد من متابعة النبي ﷺ.

- الوجه الرابع:

قال الله تعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)).

والذي يقول: إن المولد عبادة نتعبد لله تعالى بها؛ فهو مكذب بهذه الآية، وهو كافر بالله عز وجل فإن قال: إنه مصدق بها لزمه أن يقول: إن المولد ليس بعبادة، ويكون أقرب إلى العبث واللعب منه إلى ما يقرب إلى الله عز وجل.

وقلنا له أيضاً: كأنك مستدرك على الله وعلى رسوله بأنهم لم يدلونا على هذه العبادة العظيمة التي تقرب إلى الله والرسول.

فإن قال: أنا لا أقول أنها عبادة ولا أستدرك على الله ورسوله، ومؤمن بهذه الآية؛ لزمه الرجوع إلى القول الحق، وأنها بدعة محدثة، هدانا الله وكل مسلم لما يحبه ربنا ويرضى.

- الوجه الخامس:

أن الممارس لهذا الأمر - أعني: بدعة المولد- كأنه يتهم الرسول ﷺ بالخيانة وعدم الأمانة - والعياذ بالله- لأنه كتم على الأمة ولم يدلها على هذه العبادة العظيمة التي تقربها إلى الله.

قال الإمام مالك - رحمه الله[٦] :- " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول:

((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)) فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً".

- الوجه السادس[٧]:

أن فاعل المولد معاند للشرع ومشاق له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه وكيفيات خاصة، وقصر الخلق عليها بالأوامر والنواهي، وأخبر أن الخير فيها والشر في مجاوزتها وتركها؛ لأن الله أعلم بما يصلح عباده، وما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب إلا

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

ليعبدوه وفق ما يريد سبحانه، والذي يبتدع هذه البدعة راد لهذا كله، زاعم أن هناك طرقاً أخرى للعبادة، وأن ما حصره الشارع أو قصره على أمور معينة ليس بلازم له، فكأنه يقول بلسان حاله: إن الشارع يعلم وهو أيضاً يعلم بل ربما يفهم أن يعلم أمراً لم يعلمه الشارع، سبحانكَ هذا بهتان عظيم وجرم خطير وإثم مبين وضلال كبير.

- الوجه السابع:

أن في إقامة هذه البدعة تحريف لأصل من أصول الشريعة، وهي محبة النبي ﷺ، واتباعه ظاهراً وباطناً واختزالها في هذا المفهوم البدعي الضيق الذي لا يتفق مع مقاصد الشرع المطهر إلى دروشة ورقص وطرب وهز للرؤوس؛ لأن الذين يمارسون هذه البدعة يقولون: إن هذا من الدلائل الظاهرة على محبته، ومن لم يفعلها فهو مبغض للنبي ﷺ، وهذا لاشك تحريف لمعنى محبة الله ومحبة رسوله؛ لأن محبة الله والرسول تكون باتباع سنته ظاهراً وباطناً كما قال جل وعلا: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)).

فالذي يجعل المحبة بإقامة هذه الموالد محرف لشريعة الله التي تقول: إن المحبة الصحيحة تكون باتباعه ﷺ، بل محو لحقيقة المحبة التي تقرب من الله وجعلها في مثل هذه الطقوس التي تشابه ما عند النصارى في أعيادهم، وبهذا يعلم أنه (ما أحييت بدعة إلا وأميتت سنة).

- الوجه الثامن:

أن هذا المولد فيه مشابهة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح، وقد نهينا عن التشبه بهم، كما قال ﷺ: (ومن تشبه بقوم فهو منهم). [٨]

- الوجه التاسع:

أن فيه قدحاً في من سبقنا من الصحابة، ومن أتى بعدهم بأننا أكثر محبة للنبي ﷺ منهم، وأنهم لم يوفوه حقه من المحبة والاحترام، لأن فاعلي المولد يقولون عن الذين لا يشاركونهم أنهم لا يحبون النبي ﷺ، وهذه التهمة منصرفة إلى أصحابه الأطهار الذين فدوه بأرواحهم وبآبائهم وأمهاتهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

- الوجه العاشر:

أن فاعل هذا المولد واقع فيما نهى النبي ﷺ أمته صراحة فقد قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) فقد نهى عن تجاوز الحد في إطرائه ومدحه، وذكر أن هذا مما وقع فيه النصارى وكان سبب انحرافهم.

وما يفعل الآن من الموالد من أبرز مظاهر الإطراء، وإذا لم يكن في الموالد- (التي تنفق فيها الأموال الطائلة وتنشد فيها المدائح النبوية التي تشتمل على أعظم أنواع الغلو فيه ﷺ، من إعطائه خصائص الربوبية كما سوف يمر معنا)- إطراء، ففي ماذا يكون الإطراء؟

- الوجه الحادي عشر:

وبدعة المولد النبوي مجاوزة في الحد المشروع، ومجاوزة في حد ما أمرنا به من محبة النبي ﷺ، ومجاوزة للحد المشروع في إقامة الأعياد، فليس في شرعنا للمسلمين إلا عيدان

هذه البدع من أسباب تخلف المسلمين، وعدم تقدمهم على غيرهم

فقط، ومن أتى بثالث فهو متجاوز للحد المشروع.

- الوجه الثاني عشر:

أن فعل المولد غلو مذموم في شخص النبي ﷺ، ومن أعظم الذرائع المؤدية للشرك الأكبر، وهو الكفر المخرج من الملة؛ لأن الغلو في الصالحين كان سبب وقوع الأمم السابقة في الشرك وعبادة غير الله عز وجل، وقد جاءت الشريعة بسد الذرائع الموصلة للشرك.

وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك، فقال ﷺ: (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) [٩] وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال؛ وإن كان سبب وروده في لقط الجمار، ونهيه عن لقط الكبار من الجمار؛ لأنه نوع من الغلو في العبادة ومجاوزة للحد المشروع.

ومعلوم أن سبب الشرك الذي وقع في بني آدم هو مجاوز الحد والغلو في تعظيم الصالحين، فقد جاء في البخاري برقم (٤٩٢٠) عن ابن عباس" في قول الله تعالى: ((وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً)) قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت".

وقارن بما حصل عند قوم نوح مع أنهم لم يصرفوا شيئاً من العبادة في أول الأمر، حتى وقعوا في الشرك؛ والسبب هذه التماثيل وهي مظهر من مظاهر الغلو، وانظر ما حصل ويحصل في الموالد، فهو ليس من ذرائع الشرك فحسب؛ بل يحصل الشرك بعينه من دعاء لغير الله عز وجل وإعطائه ﷺ بعض خصائص الرب جل وعلا كالتصرف في الكون وعلم الغيب، ففي هذه الموالد يترنمون بالمدائح النبوية، وعلى رأسها بردة البوصيري الذي يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقول أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي:

نور الهدى قد بدا في العرب والعجم
سعد السعود علا في الحل والحرم
بمولد المصطفى أصل الوجود ومن
لولاه لم تخرج الأكوان من عدم

فماذا بقي لرب العباد، إن هذا ليس شركاً في الألوهية؛ بل هو شرك في الربوبية، وهو أعظم من شرك كفار قريش - والعياذ بالله- ؛ لأن كفار قريش كانوا يعتقدون أن المتصرف في الكون هو الله عز وجل لا أصنامهم، وهؤلاء يزعمون أن المتصرف في الكون الذي بيده الدنيا والآخرة هو النبي ﷺ.

وانظر إلى قوله: (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به) فهو يعتبر رسول الله هو الملاذ، وهو الذي يستغاث به ويدعوه عند الملمات، وهذا هو عين شرك كفار قريش الذين يعبدون الأوثان؛ بل هم أحسن حالاً منه، فهم عند الشدائد يخلصون الدعاء والعبادة، والبوصيري عند الشدائد والملمات يدعو غير الله.

والمولد لا يمكن أن تقوم بغير أبيات البردة، والله المستعان، فهي الشعيرة والركيزة

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

الأساسية في هذه الموالد البدعية.

ولو لم يكن فيها إلا هذه المفسدة لكفى بها مبرراً لتحريمها والتحذير منها.

وإن زعم شخص أنه سوف يخليه مما تقدم، قلنا له: المولد بحد ذاته هو مظهر من مظاهر الغلو المذموم فضلاً عما يحتويه من طوام عظيمة، وبدعة في الدين محدثة، لم يشرعها ولم يأذن بها الله.

الوجه الثالث عشر:

أن الفرح بهذا اليوم والنفقة فيه وإظهار الفرح والسرور فيه؛ قدح في محبة العبد لنبيه الكريم، إذ هذا اليوم باتفاق هو اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ فكيف يفرح فيه؟ والله المستعان.

وأما يوم مولده فمختلف فيه، فكيف تكون عبادة عظيمة تقرب إلى الله، واليوم الذي يحتفل فيه غير مجزوم به.

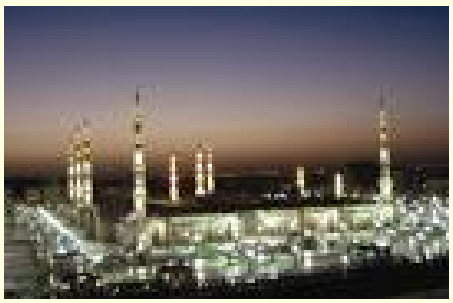

يقول الحافظ في فتح الباري (شرح حديث برقم ٣٦٤١): " وَقَدْ أَبْدَى بَعْضهمْ لِلْبُدَاءَةِ بِالْهِجْرَةِ مُنَاسَبَة فَقَالَ: كَانَتْ الْقَضَايَا الَّتِي اتُّفِقَتْ لَهُ، وَيُمْكِن أَنْ يُؤَرَّخ بِهَا أَرْبَعَة: مَوْلِده وَمَبْعَثه وَهِجْرَته وَوَفَاته ، فَرَجَحَ عِنْدهمْ جَعْلهَا مِنْ الْهِجْرَة؛ لِأَنَّ الْمَوْلِد وَالْمَبْعَث لَا يَخْلُو وَاحِد مِنْهُمَا مِنْ النِّزَاع فِي تَعْيِين السَّنَة ، وَأَمَّا وَقْت الْوَفَاة فَأَعْرَضُوا عَنْهُ لِمَا تُوُقِّعَ بِذِكْرِهِ مِنْ الْأَسَف عَلَيْهِ , فَانْحَصَرَ فِي الْهِجْرَة". اهـ

ويقول ابن الحاج في المدخل (٢/١٥): " ثم العجب العجيب كيف يعملون المولد للمغاني والفرح والسرور لأجل مولده عليه الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم، وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل إلى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة فيه) وأصيبت بمصاب عظيم، لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبداً، فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير وانفراد كل إنسان بنفسه لما أصيب به.....". اهـ

الوجه الرابع عشر:

اشتمال هذه الموالد على كثير من كبائر وعظائم الأمور، والتي يرتع فيها أصحاب الشهوات، ويجدون فيها بغيتهم مثل: الطرب والغناء واختلاط الرجال بالنساء، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيها الخمر، وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر، ومن يحضر هذه الأماكن بغير نية القربة فهو آثم مأزور غير مأجور، فكيف إذا انضم إليه فعل هذه المنكرات على أنها قربة إلى الله عز وجل، فأي تحريف لشعائر الدين أعظم من هذا التحريف[١٠].

الوجه الخامس عشر:

اشتماله على أنواع عظيمة من البذخ والتبذير، وإضاعة الأموال، وإنفاقها على غير أهلها.

الوجه السادس عشر:

أن في هذه الموالد، والتي كثرت وانتشرت حتى وصلت في بعض الأشهر أن يحتفلوا بثمان وعشرين مولداً أن فيها من استنفاد الطاقات والجهود والأموال، واشتغال الأوقات، وصرف للناس عن ما يكاد لهم من قبل أعدائهم، فتصبح كل أيامهم رقص وطرب، وموالد، فمتى يتفرغون لتعلم دينهم ومعرفة ما يخطط لهم من قبل أعدائهم؛ ولهذا لما جاء المستعمرون للبلاد الإسلامية حاولوا القضاء على كل معالم الإسلام، وصرف الناس عن دينهم، ومحاولة إشاعة الرذيلة بينهم، وما كان من تصرفات المسلمين فيه مصلحة لهم وقت في عضد المسلمين وإضعاف لشأنهم، فإنهم باركوه وشجعوه، مثل: الملاهي والمحرمات ونحوها، ومن ذلك: البدع المحدثة التي تصرف الناس عن معالم الإسلام الحقيقية، مثل: بدعة المولد، وغيرها من الموالد، بل مثل: هذه البدع من أسباب تخلف المسلمين، وعدم تقدمهم على غيرهم.

يقول السيد رشيد رضا في المنار (٢/٧٤- ٧٦): " فالموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل، يقصد بها إضحاك الناس.. (إلى أن قال): فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون؛ ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع اتخذوا الشيوخ أنداداً، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكرة القدوة، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير، ونتيجة لذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضي غيره ممن اتخذوهم أنداداً وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر؛ لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين، ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها؛ بل ولا في الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى، إذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة وشأن في نفوس تلك الأمم، فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه "اهـ.

نابليون المستعمر الفرنسي يحيي المولد ويدعمه: واسمع إلى ما يحدثنا به المؤرخ المصري الجبرتي في كتابيه: عجائب الآثار (٢/٢٠١، ٢٤٩)، ومظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس (ص٤٧).

تحدث وذكر أن المستعمرين الفرنسيين عندما احتلوا مصر بقيادة نابليون بونابرت انكمش الصوفية وأصحاب الموالد فقام نابليون وأمرهم بإحيائها ودعمها

قال في مظهر التقديس: " وفيها (أي: سنة ١٢١٣هـ في ربيع الأول): سأل صاري العسكر عن المولد النبوي ولماذا لم يعملوه كعادتهم فاعتذر الشيخ البكري بتوقف الأحوال وتعطل الأمور وعدم المصروف، فلم يقبل وقال: (لابد من ذلك) وأعطى الشيخ البكري ثلاثمائة ريال فرانسة يستعين بها فعلقوا حبالاً وقناديل

واجتمع الفرنسيس يوم المولد، ولعبوا ودقوا طبولهم، وأحرقوا حراقة في الليل وصواريخ تصعد في الهواء ونفوطاً".

ولعل سائلاً يسأل ما هدفهم من تأييد ودعم مثل هذه البدع وهذه الموالد؟

ندع الجواب للمؤرخ الجبرتي المعاصر لهم، حيث يقول في عجائب الآثار(٣٠٦/٢):

" ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات ".

• أقوال أهل العلم في المولد:

لقد أفتى علماء العالم الإسلامي على اختلاف أماكنهم وأزمانهم ومذاهبهم الفقهية بحرمة عمل المولد، وأنه من البدع المحدثة التي لاأصل لها، وإليك بعضهم:

• شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو من علماء الشام ومن المجتهدين (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦١٩/٢)، ومجموع الفتاوى (٣١٢/١).

• العلامة الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني، له رسالة بعنوان: (المورد في الكلام على عمل المولد)، وهو عالم مالكي المذهب، ت بالإسكندرية سنة (٧٣٤هـ).

• الأستاذ أبو عبد الله محمد الحفار له فتاوى ذكرها الونشريسي في المعيار المعرب، وهو من علماء المغرب.

• العلامة ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، ت بالقاهرة (٧٣٢هـ) له كلام نفيس في المدخل بداية الجزء الثاني.

• الشيخ العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية.

• الشيخ علي محفوظ في كتابه الإبداع في مضار الابتداع.

• الإمام الشاطبي، وله كلام نفيس في فتوى له في كتاب طبع باسم فتاوى الإمام الشاطبي، وهو عالم مالكي أندلسي.

• الشيخ رشيد رضا في أكثر من موضع من مصنفاته كما في المنار (٩٦/٩)، (٧٤/٢-٧٦) (١١١/١٧) (٢٩/ ٦٦٤- ٦٦٨)، وفتاواه (الجزء الخامس في الصفحة ٢١١٢- ٢١١٥)، و(الجزء الرابع في الصفحة ١٢٤٢- ١٢٤٣).

• الشيخ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، وهو من علماء الهند (انظر: رسالة الشيخ حمود التويجري ص٢٣٥ ط. العاصمة، ضمن المجموع في الرسائل الخاصة ببدعة المولد).

• الشيخ بشير الدين القنوجي وهو من علماء الهند، وهو شيخ أبي الطيب (المصدر السابق).

• الشيخ فوزان السابق كما في كتابه البيان والإشهار (ص ٢٩٩).

• الشيخ محمد بن عبد السلام خضر الشقيري في كتابه السنن والمبتدعات.

"فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون؛ ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع"

• شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

• العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ كما في الدرر السنية.

• العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم له رسالة في إنكار عمل المولد، وانظر: مجموع فتاواه (٤٨/٣- ٩٥) فقد اشتملت على عدد من الفتاوى المتنوعة حول المولد.

• العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في رسالته (هداية الناسك إلى أهم المناسك).

• العلامة الشيخ عبد العزيز ابن باز، له رسالة في حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

• العلامة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري، في رسالة بعنوان (الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي، وبيان أخطائهم في المولد النبوي).

• الشيخ العلامة إسماعيل الأنصاري، له رسالة وهي من أجود ما رأيت بعنوان: القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل.

• العلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين.

• الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين.

• الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

• هناك فتاوى متناثرة في مجلة التوحيد التي تصدر في مصر عن جماعة أنصار السنة المحمدية.

في الختام أسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(*) استاذ مساعد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(١) نقلاً عن: سبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٣٩/١) ط. وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) وقد قرر هذا جماعة من المتأخرين منهم:

- العلامة الحنفي مفتي الديار المصرية سابقاً الشيخ (محمد بخيت المطيعي في كتابه " أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام".
- الأستاذ الشيخ علي محفوظ في كتابه" الإبداع في مضار الابتداع ".
- الشيخ إسماعيل الأنصاري في كتابه: " القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ".
- والشيخ ابن منيع في رده على المالكي.
- وانظر بقية من قال به من أهل العلم، لما نقله مشهور حسن سلمان في تعليقه أثناء تحقيقه لكتاب: " الباعث على إنكار البدع والحوادث " ص ٩٦ في الحاشية.

(٣) جامع العلوم والحكم (١٢٧/٢).ت: الأرناؤوط.

(٤) المصدر السابق (١٢٨/٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٦/١٨).

(٦) الاعتصام (٤٩/١).

(٧) اقتبست هذا الوجه من الإما م الشاطبي في الاعتصام (٤٩/١).

(٨) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٥٨١/٢).

(٩) الحديث صحيح: أخرجه أحمد: (٢١٥، ٣٤٧).

(١٠) انظر: مبحثاً نفيساً لابن الحاج في كتابه المدخل (من بداية الجزء الثاني) فقد ذكر ما يحدث من عظائم الأمور والمنكرات ما يندى له الجبين، وانظر ما نقله الشيخ إسماعيل الأنصاري في رسالته القيمة (القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص٦٤٨) ط. دار العاصمة، والتي جمعت عدداً من الرسائل في حكم المولد. مجلدين.

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

عقيدة ختم الولاية عند الصوفية

د. محمد أحمد لوح (*)

إن عقيدة ختم الولاية فكرة صوفية، أول من تكلم بها رجل يدعى الحكيم الترمذي الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهي عقيدة مضادة لما في الكتاب والسنة؛ إذ آخر الأولياء كما يدل عليه المعنى اللغوي لهذين اللفظين، وكما يفهم من سكوت النصوص الشرعية وعدم ورود شيء بشأنه إنما هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس، وليس هو بخير الأولياء ولا أفضلهم لعدم ورود نص في هذا، بل أفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان لا طلعت الشمس وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ويبدو أن الصوفية أطبقوا على الترحيب بالفكرة من حيث المبدأ، وبقي تعيين من هو ذلك الولي الخاتم؟ فوجدنا أن مجموعة كبيرة منهم اندفعت إلى الزج بنفسها أو بشيخها في هذا الميدان.

ولعل الأوصاف العظيمة التي أضفاها الترمذي - صاحب الفكرة- على هذا الولي هي التي شوقتهم إلى ترشيح شيوخهم أو أنفسهم لهذا المنصب الخطير حيث يقول عنه:

فهذا سيد الأولياء، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وخالصة الله، وموضع نظره وسوطه في خلقه[٢].

وعنه يقول أيضاً: فكما كان محمد صلى الله عليه وسلم حجة على الأنبياء، فكذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء[٣].

يقول ابن عربي- وهو يتحدث عن وحدة الوجود- : وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه- متى رأوه- إلا من مشكاة خاتم الأولياء؛ فإن الرسالة والنبوة- أعني نبوة التشريع ورسالته- تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء[٤].

نجد أنه فضل خاتم الأولياء على الأنبياء بأمور:

١- أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء.

٢- أن النبي في رؤياه لم تتبين له حقيقة الأمر فرآه لبنة واحدة، أما خاتم الأولياء الذي يرى الأمر على ما هو عليه فقد رأى لبنتين.

ويبدو أن الصوفية أطبقوا على الترحيب بالفكرة من حيث المبدأ، وبقي تعيين من هو ذلك الولي الخاتم؟ فوجدنا أن مجموعة كبيرة منهم اندفعت إلى الزج بنفسها أو بشيخها في هذا الميدان.

٣- أن خاتم الأولياء يأخذ علومه عن الله مباشرة، بينما لا يأخذ الأنبياء علومهم إلا بواسطة الملك.

٤- أن الدين إنما كمل وتم على يدي خاتم

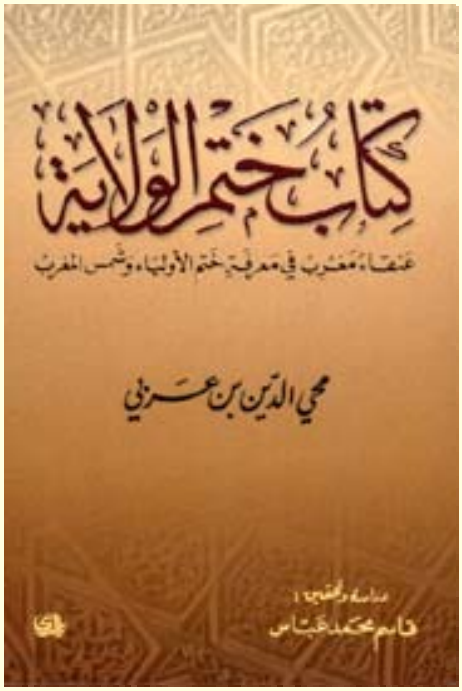

الأولياء، أما خاتم النبيين فقد خرج من الدنيا والدين ناقص!

ومن نصوصهم في تفضيل الأولياء على الأنبياء قول أحدهم:

مقام النبوة في برزخ
فُوَيْقَ الرسول ودون الولي

شرحه أبو المواهب الشاذلي فقال: يعني أن مقام النبوة يعطي الأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمر الله به العباد، ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص[٥].

والآن أذكر بعض من ادعى الختمية للولاية المحمدية كما يقولون:

١- ادعى ابن عربي أنه الختم فيقول مكنياً

عن نفسه: وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب، ومن أكرمها أصلاً ويداً، وهو في زماننا موجود، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه من عباده، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه، لا يعلمها كثير من الناس، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه... وكما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم بالختم المحمدي الولاية[٦].

وقد يحسب القارئ لهذه الفقرة أن ابن عربي يقصد غير نفسه، ولكننا عرفنا أنه أراد نفسه في هذه الإشارات، لأدلة منها:

أ- أنه صرح في مواضع أخرى بأنه الختم ففك بذلك هذا الرمز، حيث أخبر أنه رأى سنة (٥٩٩ هـ) حائطاً من ذهب وفضة إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فانطبع في موضع تينك اللبنتين قال: وعبرت الرؤيا بانختام الولاية بي، وذكرتها للمشايخ والكاملين المعاصرين فعبروها بما عبرتها به[٧].

ويقول:

بنا ختم الله الولاية فانتهت

إلينا فلا ختم يكون لها بعدي

ويقول أيضاً:

أنا ختم الولاية دون شك

لورثي الهاشمي مع المسيح[٨]

ب- أن ابن عربي لو كان يقصد بهذا النص غيره لبادر الصوفية إلى البحث عنه وإشاعة أمره، وتقديمه على كل أحد نظراً لمعتقدهم في هذا الختم، لكننا وجدنا أن ابن عربي عند الصوفية يحتل مكان الصدارة في قائمة المقدسين حتى عند معاصريه. قال الشعراني عنه: فلقد كان في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى[٩].

ج- أن كثيراً من منظري الصوفية المعتمدين عندهم جميعاً ممن جاء بعد ابن عربي اعترفوا به خاتماً للولاية الصوفية، ففي درر الغواص للشعراني: حتى إن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ عن هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص، والآخر يختم الولاية العامة[١٠]، فلا ولي بعده إلى قيام الساعة، وقد أخبر هذا العارف- يعني ابن عربي- عن نفسه أنه أحد الختمين، وأقام البرهان على ذلك بشرحه لأسئلة الحكيم الترمذي التي ذكرها... وأنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم الذي يواطئ اسمه اسم الحكيم الترمذي محمد بن علي، والشيخ محيي الدين محمد بن علي كالترمذي وبينه وبينه نحو ثلاثمائة سنة[١١].

د- أن من المعلوم أن أسلوب الرمز والإشارة يعد نمطاً شائعاً في عرف المتصوفة، فهذا الشبلي مثلاً يشير إلى نفسه فيقول: أعرف من لم يدخل في هذا الشأن[١٢] حتى أنفق جميع ملكه، وغرق سبعون قمطراً بخطه في دجلة التي ترون، وحفظ موطأ مالك وتلا كذا وكذا قراءة[١٣].

٢- وممن ادعى الختمية أيضاً الشيخ محمد وفا، حيث يذكر الشعراني أنه أخبر ولده أنه هو خاتم الأولياء. بل كان ولده علي[١٤] يقول: سيدي ووالدي صاحب الختم الأعظم، فالشاذلي وجميع الأولياء من جنود مملكته، فهو يَحْكُم ولا يُحْكَم عليه في سائر الدوائر فلا يقال لنا: لم لا تقرءون حزب الشاذلي لأنكم من أتباعه؟

٣- وممن ادعى أنه خاتم الأولياء الشيخ أحمد التجاني فيقول الشيخ عمر الفوتي- راداً على ابن عربي بعد أن نقل ما قاله في نسبة ختم الولاية الصوفية إلى نفسه-: وأنت خبير بأن محيي الدين لم يعتمد بكونه ختماً على قاطع، وإنما اعتضد على هذه الرؤيا ونحوها... وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا، وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه، وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي أحمد الشريف الحسني التجاني... فقال: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني أنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم... مشافهةً يقظةً لا مناماً[١٥].

ويبدو أن الشيخ التجاني كانت طموحاته أكبر من الأوصاف التي ذكرها الترمذي- مخترع الفكرة- فاضطر بسبب ذلك إلى إضافة جملة وافرة من الصفات إلى نفسه، ومن ذلك: أنه أشار بإصبَعيه السبابة والوسطى وقال: روحي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا، روحه تمد الرسل والأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد... إلى أن قال: نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة إلى الأقطاب[١٦].

والله أعلم. وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(*) دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٦٤/١) وولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال (ص:١٩٨) وعبارته: آخر مؤمن تقي تقوم عليه القيامة وهي خطأ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس). رواه مسلم. صحيح مسلم: الفتن وأشراط الساعة- باب قرب الساعة (ص:٢٢٦٨).

(٢) ختم الولاية للترمذي (ص:٤٠٦).

(٣) ن. م (ص:٤٢١).

(٤) فصوص الحكم (٦٢/١).

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني (٦١/٢).

(٦) الفتوحات المكية (٤٩/٣) وقارن اليواقيت والجواهر (٨٩/٢).

(٧) الفتوحات (٦٨/٥- ٧٠).

(٨) المصدر السابق (٧١/٤).

(٩) اليواقيت والجواهر (٨/١) منسوباً إلى الفيروزآبادي.

(١٠) يقصد المتصوفة بأحد الختمين المسيح- عليه السلام- باعتبار أنه إذا نزل يكون صاحباً وتابعاً، فيكون خاتم الأولياء من هذا الوجه. انظر: الفتوحات (١٧٥/٣) و (٧١/٤).

(١١) (ص:١٨- ١٩) مع الإبريز.

(١٢) سير النبلاء (٣٦٩/١٥) وتاريخ بغداد (٣٩٣/١٤).

(١٣) هو محمد بن محمد السكندري المعروف بمحمد وفا الشاذلي، صوفي من أهل الطرق، رأس الوفائية، مالكي المذهب، وسلك الطريقة الشاذلية قبل استقلاله وتأسيسه طريقته، توفي بمصر سنة (٧٦٥هـ). كان أمياً، وينسب إليه مؤلفات وديوان شعر. انظر: ط. ك (١٩/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٧٩/١١).

(١٤) الطبقات الكبرى (٢٨/٢).

(١٥) الرماح (١٢/٢- ١٣).

(١٦) الإبريز (١٤/٢).

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

الطـــريقـــة الـواحـــديـــة

ضيفور فرحان الجهري

هذه الطريقة نشأت على تربة إندونيسيا، وليست آتية من الخارج، كما أنها تعتبر طريقة مستقلة، وليست متفرعة عن طريقة من الطرق الصوفية.

والواحدية طريقة حديثة، لم يبلغ عمرها أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، لكنها انتصرت الآن في كثير من مناطق إندونيسيا، فهي إذاً لها رواج وإقبال من بعض المسلمين هناك؛ فلذلك قامت وزارة الشؤون الدينية التي لها اهتمام بأحوال المسلمين كما أن لها اهتماماً بأمن الدولة، قامت بالدراسة الميدانية لهذه الطريقة في عدة مناطق بجاوا الشرقية وجاوا الوسطى عن طريق المكتب الخاص التابع لهذه الوزارة، وهو مكتب دراسة الفرق الروحانية أو الدينية.

❖ نشأتها ونسبتها:

من الجدير بالتنبيه على أن أتباع هذه الطريقة وبعض الناس غير هؤلاء الأتباع لا يعتبرون الواحدية طريقة من الطرق الصوفية بل يسمونها "الصلوات الواحدية"؛ ذلك لأن أشهر ما فيها ترديد الصلوات التي ألفها مؤسسها بكيفية وآداب معينة على ما سوف أبين بالتفصيل، كما أنها لا تفرض على أتباعها البيعة التي تكون أصلاً من أصول الطرق الصوفية.

لكن من حيث أنها تقدم منهجاً معيناً وتعاليم معينة للتقرب إلى الله تبارك وتعالى أو لتصفية القلوب على حد تعبيرهم، فهي تعتبر طريقة من الطرق الصوفية، كما أطلقت وزارة الشؤون الدينية عليها اسم الطريقة أيضاً في الدراسة الميدانية التي قامت بها.

والكلام عن نشأة هذه الطريقة يعني الكلام عن نشأة الصلوات الواحدية؛ لأنها فعلاً أهم ما في هذه الطريقة من التعاليم، وبظهور تلك الصلوات ظهر اسم الواحدية.

وقبل ذلك ينبغي التعرف على مؤلف تلك الصلوات الواحدية ومؤسس هذه الطريقة الواحدية.

فهو كياهي الحاج عبد المجيد معروف، ولد سنة (١٩٢٠م)، وتوفي في كدونج لو كديري جاوا الشرقية في (٢٩) من رجب سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (٧) من مارس سنة (١٩٨٩م).

> **والواحدية طريقة حديثة، لم يبلغ عمرها أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، لكنها انتصرت الآن في كثير من مناطق إندونيسيا، فهي لها رواج وإقبال**

وهو قبل تأليفه لتلك الصلوات وبعده كان مدير بسانزين كدونج لو كديري جاوا الشرقية، فهو من العلماء البارزين في منطقته.

هذا القدر من ترجمة حياته هو الذي عثرت عليه.

والمراد بالصلوات الواحدية هي مجموعة من الأذكار والصلوات التي ألفها كياهي الحاج عبد المجيد معروف، والتي يلتزم بقراءتها أتباعه في أوقات معينة كما سيأتي.

وقصة ظهور تلك الصلوات كما يحكي أتباعه على النحو التالي:

في شهر يوليو سنة (١٩٥١م) تقريباً حدث لكياهي الحاج عبد المجيد معروف شيء غير معتاد، وهو أنه في ذلك الوقت رأى إشارة غيبية في يقظته لا في المنام، وتلك الإشارة هي أنه يطلب منه أن ينقذ المجتمع عن طريق القناة الباطنية. فبعد تلك الحادثة أصبح كياهي الحاج عبد المجيد معروف يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ويتقرب إليه بإكثار العبادة وقراءة الصلوات المتنوعة.

وفي سنة (١٩٦٣م) حدث له مرة أخرى ما حدث في سنة (١٩٥٩م) وعليه أن يسرع إلى القيام بما تضمنه الإشارة، وهو إنقاذ المجتمع، فازداد تضرعه لله تعالى وتقربه إليه بمجاهدات، وبعد ذلك بمدة - الظاهر في نفس السنة- وقع له للمرة الثالثة نفس ما وقع له في المرتين السابقتين مع شيء من التهديد إن لم يسرع إلى القيام بإنقاذ المجتمع، وكان حينئذ يرتجف لشدة ذلك التهديد، فبدأ عبد المجيد معروف يؤلف الصلوات، وهي كالآتي:

١- اللهم كما أنت أهله صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو أهله، نسألك اللهم بحقه أن تغرقنا في لجة بحر الوحدة حتى لا نرى ولا نسمع ولا نجد ولا نحس ولا

نتحرك ولا نسكن إلا بها، وترزقنا تمام مغفرتك يا الله، وتمام نعمتك يا الله، وتمام معرفتك يا الله، وتمام محبتك يا الله وتمام رضوانك يا الله، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

وبالتالي تسمى هذه الصلاة "صلاة المعرفة".

ثم يؤلف بعد ذلك بمدة الصلاة الأخرى، وهي كالآتي:

٢- اللهم يا واحد يا أحد، يا واجد يا جواد، صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد في كل لمحة ونفس بعدد معلومات الله وفيوضاته وأمداده.

وكل من هاتين الصلاتين تعطى لبعض طلابه ومن يعرفه من الزملاء إجازة منه إياهم.

ثم يؤلف جملاً أخرى (تنص بصراحة على الاعتقاد بالحقيقة المحمدية) وهي كالآتي:

٣- يا شافع الخلق! الصلاة والسلام عليك نور الخلق هادي الأنام وأصله وروحه، أدركني فقد ظلمت أبداً وربني، وليس لي يا سيدي سواك، فإن ترد كنت شخصاً هالكا.

وفي سنة (١٩٦٥م) يؤلف جملاً أخرى (مضمونها مخاطبة الغوث للاستنجاد)، وتلك الجمل هي:

٤- يا أيها الغوث سلام الله عليك ربني بإذن الله، وانظر إلي سيدي بنظرة موصلة للحضرة العلية، ثم يؤلف الصلاة الآتية:

٥- يا ربنا اللهم صل وسلم على محمد شفيع الأمم والآل، واجعل الأنام مسرعين بالواحدية لرب العالمين، يا ربنا اغفر يسر افتح واهدنا قرب، وألف بيننا يا ربنا.

وفي سنة (١٩٧١م) أو قبل ذلك بقليل يؤلف الصلاة الأخرى، وهي كالآتي:

٦- يا شافع الخلق حبيب الله صلاته عليك مع سلامه، ضلت وضلت حيلي في بلدتي، خذ بيدي يا سيدي والأمة.

وفي سنة (١٩٧٢م) يزاد إلى ذلك الدعاء الآتي:

٧- اللهم بارك فيما خلقت وهذه البلدة يا الله، وهذه المجاهدة يا الله.

ثم في سنة (١٩٧٣م) يأتي دعاء آخر يكمل الدعاء السابق وهو:

٨- اللهم بحق اسمك الأعظم وبجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وببركة غوث هذا الزمان وأعوانه وسائر أوليائك يا الله يا

أن هذه الطريقة لها مركز رسمي حيث تقام فيه برامجها وأنشطتها الصوفية التي على مستوى الدولة، وهو مكان نشأتها ومقر مؤسسها، وهو كدونج لو كديري جاوا الشرقية.

الله يا الله رضي الله عنهم، [٣ مرات]، بلغ جميع العالمين نداءنا واجعل فيه تأثيراً بليغاً، [٣ مرات].

فإنك على كل شيء قدير وبالإجابة قدير [٣ مرات].

ففروا إلى الله، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

هذه هي التي تسمى بالصلوات الواحدية، ألفها عبد المجيد معروف بالتدرج واحدة بعد أخرى. فعبد المجيد معروف هو مؤسس هذه الطريقة الواحدية.

وقراءة تلك الصلوات بآداب معينة تسمى عندهم "المجاهدة".

وإلى هنا يمكن أن تستخلص الأمور التالية:

أ- إن الطريقة الواحدية نشأت في إندونيسيا وبالتحديد في كدونج لو كديري جاوا الشرقية، وذلك في سنة (١٩٦٣م)، لأن أول صلاة من مجموع تلك الصلوات ألفت في تلك السنة كما سبق، وقد بدأ العمل بقراءتها وإجازتها لبعض الناس، ثم تؤلف الصلوات الأخرى واحدة تلو أخرى إلى أن تركبت مجموعة الصلوات مختلفة الصياغة والمعنى كما هو مذكور أعلاه.

٢- إن مؤلف تلك الصلوات هو كياهي الحاج عبد المجيد معروف، إندونيسي الأصل، ولد في كديري بجاوا الشرقية.

وهكذا يذكر مريدو الواحدية أنه "مؤلف الصلوات الواحدية"، لكن إذا اتفقنا على أن الواحدية يمكن أن يطلق عليها اسم الطريقة؛ فنقول بأن عبد المجيد معروف هو مؤسس الطريقة الواحدية.

٣- إن هذه الطريقة لا تنسب إلى اسم مؤسسها كما كانت معظم الطرق الصوفية ومنها الطرق الأربع الآنفة العرض، وإنما تنسب إلى كلمة "واحد" الواردة في الصلاة الثانية من حيث الولادة والأولى من حيث ترتيب القراءة، وهي: اللهم يا واحد... إلخ.

وهذا ما ينصون عليه في كتاباتهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الطريقة لها مركز رسمي حيث تقام فيه برامجها وأنشطتها الصوفية التي على مستوى الدولة، وهو مكان نشأتها ومقر مؤسسها، وهو كدونج لو كديري جاوا الشرقية.

وكما أن سائر الطرق الصوفية تضمن لأتباعها نيل شيء معين وتدعي الأفضلية، فإن الواحدية كذلك تضمن لكل من قرأ تلك الصلوات بآداب معينة أنه سوف يجد طمأنينة في القلب، وإلا فليقاض مؤلفها في الدنيا والآخرة.

كما أن أتباع هذه الطريقة يعتقدون أن المقصود من غوث هذا الزمان الوارد ذكره في تلك الصلوات هو مؤسس هذه الطريقة كياهي الحاج عبد المجيد معروف، ويقولون: "نحن على يقين بأنه لا يوجد من بين الواحديين من هو أفضل من مؤلف الصلوات الواحدية في جميع كمالاته إلى يوم القيامة".

وبهذا يتبين لنا أن أتباع كل طريقة من الطرق الصوفية يعتقدون أن مؤسس وشيخ الطريقة التي انضموا إليها هو الغوث أو سيد الأولياء أو قطب الأقطاب، فعبد القادر الجيلاني والنقشبندي والشاذلي والتجاني وعبد المجيد معروف هؤلاء كلهم أغواث.

والغوث وهو عند أهل الحق لفظ لا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيث، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل.

لكن مع كل ما ذكرت لعل الواحدية في هذا الجانب أقل غلواً من بقية الطرق الصوفية المذكورة، فإني لم أسمع حتى الآن، لا من أتباعها ولا من كتاباتها ما يومئ

- فضلاً عن التصريح- إلى أن مؤسسها تكلف في إيصال نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ادعى أنه علم جميع ما سيحدث إلى يوم القيامة ونحو ذلك.

كما أنها في نظري أقل جرأة من غيرها من الطرق فيما تضمنه لأتباعها، فإن الواحدية لا تضمن لأتباعها الذين يداومون على قراءة تلك الصلوات الواحدية أو على المجاهدة، كما يحلو لهم أن يسموها دخول الجنة مثلاً، إنما تضمن حصول الطمأنينة والراحة القلبية فقط، والله أعلم.

❖ مبادؤها ونشاطها:

تختلف الطريقة الواحدية عن عموم الطرق الصوفية في عدم اعتمادها على بيعة المريد، وهي لا تعرف السلسلة الصوفية أيضاً، إذ تلك الصلوات المذكورة كلها من اختراع مؤسسها كما سبق أيضاً.

ولعلها في هذا الجانب تشبه التجانية، إلا أن التجاني ادعى أن الأوراد التجانية كلها لقنها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة، فلذلك يقول: "إنا أخذنا عن مشايخ عدة رضي الله عنهم، فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود، وإنما سندنا وأستاذنا في هذا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف وكفى".

كما أن الواحدية لا تفرض على المريد الخلوة أو العزلة الصوفية المعروفة.

وللواحدية مبادئ خاصة، أوجزها فيما يأتي:

❖ مبدأ العمل:

إن أي عمل عند الواحدية لابد أن يكون مبنياً على أساس: لله بالله - للرسول بالرسول - للغوث بالغوث.

❖ لله بالله:

مفهوم لله هو أن يكون كل عمل، ظاهراً كان أو باطناً، يتعلق بالله سبحانه وتعالى، أو يتصل بالبشر أو المخلوق، واجباً أو سنة أو مباحاً، أن يكون كل ذلك لله وحده.

بالله: يقصدون به أن أي عمل يعمله الإنسان إنما الله هو الذي خلق ذلك العمل، وألا يشعر بأن له قوة من نفسه.

فالمريد الواحدي عندما يعمل عملاً ينبغي له أن ينوي هذه النية: لله بالله.

❖ للرسول بالرسول:

مفهوم للرسول أن ينوي المريد الواحدي -

يقولون: نحن على يقين بأنه لا يوجد من بين الواحديين من هو أفضل من مؤلف الصلوات الواحدية في جميع كمالاته إلى يوم القيامة

بجانب النية لله بالله- اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدليل على ذلك الآية: (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) [محمد: ٣٣].

أما مفهوم "بالرسول" فهو أن يشعر المريد بأن كل شيء، ومنه تصرفاتنا وأعمالنا، إنما تكون بسبب فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

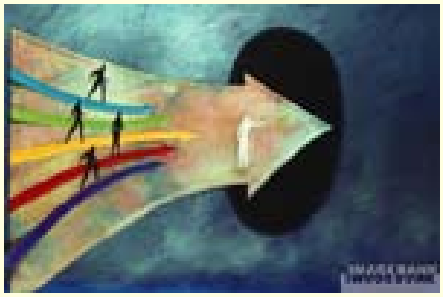

❖ للغوث بالغوث:

مفهوم "للغوث بالغوث" هو مثل مفهوم للرسول بالرسول، أي: نية اتباع غوث هذا الزمان، والشعور بنيل فضله في عمل من الأعمال.

هذا هو مبدأ العمل عندهم، أن يكون لله وللرسول وللغوث، وبالله وبالرسول وبالغوث، شيء جديد في دنيا الطرق الصوفية.

وأكرر مرة أخرى أن المراد بغوث هذا الزمان هو مؤلف الصلوات الواحدية نفسه لا غير، فلا يكفي عندهم إخلاص النية لله وحده، بل لابد أن يقرن ذلك النية للرسول والغوث.

أليس في ذلك تناقض؟ أليس إشراك النية للرسول وللغوث يناقض قولهم الصحيح بأن يكون العمل لله وحده؟

هذا بغض النظر عن مشكلة "الغوث" نفسه، فإنه ليس له وجود في معجم العقيدة الإسلامية.

❖ الذكر الواحدي:

صحيح ما قاله الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق من أن الطريقة الصوفية تعني أولاً النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي، ويكون له بالطبع ذكر خاص ينفرد عن سائر الطرق الصوفية.

فها هي الطريقة الحديثة، الإندونيسية النشأة، حتى أذكار خاصة تتقدم إلى الساحة لمنافسة الأذكار الصوفية الأخرى.

وهذه الأذكار هي تلك الصلوات الواحدية لا غير، تلك الصلوات التي تمتلئ بالتوسلات بل وبالاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبغوث هذا الزمان - على حسب اعتقادهم- وهما من الأموات.

وهم وضعوا لقراءة تلك الصلوات، أو المجاهدة مرة أخرى، آداباً وهي:

١- أن يستشعر المريد مدة المجاهدة مبدأ لله بالله وللرسول بالرسول وللغوث بالغوث.

٢- أن يستحضر الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: أن يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم حاضر بين يديه.

٣- أن يتذلل ويعترف بالذل والإثم.

٤- أن يشعر بالافتقار إلى رحمة الله، وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بركة غوث هذا الزمان وكرامته ونظرته.

٥- أن تكون قراءة الصلوات الواحدية بنفس النغم والكيفية التي مثلها مؤلفها كياهي الحاج عبد المجيد معروف.

٦- عند المجاهدة الجماعية لابد أن تكون الأصوات متساوية في الارتفاع والانخفاض، ويكون الذكر بصوت جهري مقروناً بالبكاء.

والأمكنة التي اختاروها لتلك المجاهدة هي البيت والمسجد أو المصلى والقبور.

ولعل الواحدية تختلف عن غيرها في كونها شبه منظمة رسمية، حيث تكون لها إدارة مركزية في مدينة

كديري بجاوا الشرقية، وتحتها فروع في كثير من مناطق إندونيسيا.

وتلك الإدارات هي التي تنظم نشاطهم القوي البارز، الذي يتمثل في المجاهدات التي تعقد في أوقات ومناسبات عديدة معينة وهي على النحو التالي:

١- مجاهدة يومية:

يقومون بها مرة في اليوم، وذلك بعد صلاة المغرب عاد ة، أو في أي وقت ممكن، وهذه إما فردية، أو جماعية مع أفراد الأسرة.

٢- مجاهدة أسبوعية:

يقام بها في كل أسبوع مع أعضاء الواحدية في قرية واحدة، وأظن أنهم يختارون ليلة الجمعة.

٣- مجاهدة شهرية:

يقام بها شهرياً مع الجماعة أيضاً، وهي أكبر وأوسع، لأنها تضم أعضاء الواحدية في ناحية واحدة (كتشامتان بالإندونيسية).

٤- مجاهدة ربع سنوية:

وهذه أوسع ضماً من التي قبلها، فهي مجاهدة أعضاء الواحدية في محافظة واحدة، تقام في كل ثلاثة أشهر.

٥- مجاهدة نصف السنة:

تقام هذه المجاهدة في كل ستة أشهر، يشترك فيها أعضاء الواحدية في منطقة واحدة، أوسع من مجاهدة ربع السنة.

٦- مجاهدة كبرى:

تقام هذه المجاهدة في مقر الإدارة المركزية يحضرها أعضاء الواحدية من جميع مناطق إندونيسيا.

وهناك مناسبتان تقام فيهما هذه المجاهدة الكبرى، وهما شهر محرم في مناسبة مولد هذه الطريقة، وشهر رجب في مناسبة الإسراء والمعراج.

وهناك مجاهدات أخرى ترتبط بمؤسس الواحدية، حيث يطلب من الواحديين القيام بها، وذلك في مناسبة مولده ووفاته.

فتقام المجاهدة في ليلة الجمعة في كل شهر، لأنه ولد يوم الجمعة، وتقام في التاسع والعشرين من شهر رجب في كل سنة، يحضرها أعضاء الطريقة في قرية واحدة، وهذا التاريخ هو تاريخ وفاته.

ومن الأشياء المزعجة، إن جاز هذا التعبير، والمثيرة لردود الفعل من قبل المجتمع، أنهم في تلك المجاهدات يقرؤون تلك الصلوات بصوت عال جماعي، ويطلب منهم أن يبكوا بشكل جماعي أيضاً، كلما اشتد البكاء كلما تكون المجاهدة أكمل.

كما أنهم في آخر المجاهدة، عند قراءتهم الآية: (ففروا إلى الله) يقومون متجهين إلى الجهات الأربع، بدءاً من الغرب ثم إلى الشمال ثم إلى الشرق ثم إلى الجنوب، ثم يعودون إلى جهة الغرب.

وهذا أيضاً من آدابهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أقول: إن النشاط البارز الذي مارسه شيوخ الطرق الصوفية عموماً هو إنشاء المعاهد التراثية التي اشتهرت باسم بسانزين، فإن معظم شيوخ الطرق الصوفية هم أصحاب تلك المعاهد التراثية.

٤- ولعلي في الأخير أسجل بعض الملاحظات، التي نراها بوضوح، وهي كالآتي:

> **عند قراءتهم الآية: (ففروا إلى الله) يقومون متجهين إلى الجهات الأربع، بدءاً من الغرب ثم إلى الشمال ثم إلى الشرق ثم إلى الجنوب، ثم يعودون إلى جهة الغرب.**

أولاً: في العقيدة، الغلو الشديد في مشايخ الصوفية لدرجة أن بعضهم يستغاث به من دون الله، وهذا عين الشرك الأكبر.

ثانياً: في الشريعة، أنهم يفعلون أنواعاً من العبادات للتقرب إلى الله، لا نجدها في الشريعة الإسلامية، وهذه هي عين البدعة، فالتصوف يؤدي إلى الابتداع في الشريعة.

ثالثاً: في العقل، أنهم يعتقدون أشياء لا يقبلها العقل، وهذه هي عين الخرافة، يعتقدونها ويلغون عقولهم.

قـــريبـــاً
عـــن مـــوقـــع الصـــوفيـــة

التصوف بين التم كـ ين والمواجهة
محمد بن عبد ا لله المقدي

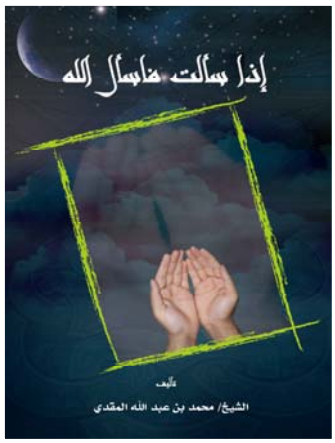

إذا سـألـــت فـاسـأل اللـه
محمـد بـن عبـد الله المقـدي

www.alsoufia.com

من إصدارات موقع الصوفية:

حـــوار هـــادئ مـــع الجـــفـــري

التـرحـيـب بالجـفـري عـلـي

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

عبـــد القـــادر الجيـــلانـــي

الشيـــخ المفتـــــرى عليـــــه

الشيخ الأمين محمد الحاج(*)

هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي، ولد بكيلان، ووفد بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ، وتفقه على عدد من مشايخها خاصة أبي سعد المُخَرَّمي، كان على مذهب الإمام أحمد في صفات الله عز وجل، وبغض الكلام وأهله، وفي القدر، وفي الفروع، خلف شيخه أبا سعيد المُخَرَّمي على مدرسته، ودرَّس فيها وأقام بها إلى أن مات.

قال ابن السمعاني عنه: (إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديِّن خيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة).

ولد للشيخ عبد القادر تسعة وأربعون ولداً، سبعة وعشرون ذكراً والباقي إناث[1].

جلس الشيخ عبد القادر للوعظ سنة (٥٢٠) وحصل له القبول من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه ووعظه.

مما اشتهر عن الشيخ عبد القادر رحمه الله مما يدل على فقهه وثبات قدمه في العلم ما حكاه عنه ابنه موسى كما قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (سمعتُ والدي يقول: خرجتُ في بعض سياحاتي[2] إلى البرية، ومكثت أياماً لا أجد ماءً، فاشتد بي العطش، فأظلتني سحابة نزل عليَّ منها شيء يشبه الندى، فترويت منه، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات، أو قال: ما حرمتُ على غيرك؛ فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين؛ فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوتَ مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق؛ فقلتُ: لربي الفضل والمنة؛ قال: فقيل له: كيف علمتَ أنه شيطان؟ قال: بقوله: وقد أحللتُ لك المحرمات).

قلت: (من اعتقد أن شيخاً يحلُّ له ما حرَّم الله، أو يرفع عنه ما أوجبه على خلقه كالصلاة مثلاً، فقد كفر).

ومما يدل على تمكنه في الفقه وبراعته فيه ما حكاه عنه ابنه عبد الرزاق قال: جاءت فتوى من العجم إلى علماء بغداد لم يتضح لأحد فيها جواب شافٍ، وصورتها: ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث، أنه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات؟

قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة، ويُخْلى له المطاف، ويطوف أسبوعاً وحده وتنحل يمينه؛ قال: فما بات المستفتي ببغداد.

ظهرت على يدي الشيخ عبد القادر بعض الكرامات، وتاب وأسلم على يديه العديد من الناس.

- الطوام التي نسبت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

كان الشيخ عبد القادر رحمه الله في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكَتَبَ فيها الطم والرم

لقد افتُري على هذا الشيخ افتراء عظيماً، وكُذِّب عليه كذباً، ونسب إليه من الكرامات والدعاوى الكاذبات ما لا يقبله عقل ولا دين، منها:

١. ما نسبه صوفية المشرق من أن الشيخ عبد القادر الجيلاني متصرف في الأكوان.

٢. ما نسبوه إليه أنه قال: "قدمي هذه على رقبة كل ولي"!!! بل لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنه قال ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣. وصفه بأنه هو القطب والغوث.

٤. نسبة السماع الصوفي المحرم ودق الطبول الذي يمارسه الصوفية إليه.

٥. المبالغة في مدحه والكذب فيه.

٦. نسبة الكثير من الممارسات الصوفية إليه.

٧. زعم أنه هو النائب عن الله في إدارة الكون.

٨. وأنه غياث المستغيثين.

٩. وأنه يمشي على الهواء.

١٠. وأن مجرد اسمه إذا كُتِبَ في كفن الميت لن تمسه النار.

هذا قليل من كثير، وغيض من فيض مما نسب إليه.

- الأدلة على اعتقاد الصوفية لهذه العقائد الباطلة:

الأدلة على اعتقاد الصوفية لهذه

العقائد ونسبتها إلى الشيخ عبد القادر زوراً وبهتاناً كثيرة جداً، ولكن سنشير إلى طرف منها لضيق المقام، فنقول:

يقول الشيخ عبد الرحيم البرعي السوداني في مدح عبد القادر الجيلاني[٣]:

هو القطب والغوث الكبير هو الذي
أفاض على الأكوان كالبحر والسيل
وعند ظهور الحال يخطو على الهوى
ويُظهر شيئاً ليس يُدرك بالعقل
بأكفان مَنْ قد مات إن كُتِبَ اسمُه
يكون له ستراً من النار والهول
وكل ولي عنقه تحت رجْله
بأمر رسول الله يا لها من رجل
ينوب عن المختار[٤] في حضرة العلا
ويحكم بالإحسان والحق والعدل

وقال آخر مكذباً على الجيلاني رحمه الله:

مريدي لا تخف واشٍ فإني
عزوم قاتل عند القتال
طبولي في السماء والأرض دقت
وشاؤس السعادة قد بدا لي
بلاد الله ملكي تحت حكمي
وأوقاتي لقلبي قد صفا لي
نظرت إلى بلاد الله جمعاً
كخردلة على حكم اتصال
أنا الجيلي محي الدين اسمي
وأعْلامي على رأس الجبال

وزعموا أنه قال:

إن أزمَّة أهل الزمان على قلبي، وأنا المتصرف في عطائهم ومنعهم.

وزعموا أنه قال:

إن قلوب الناس في يدي، إن أردتُ صرفها عني صرفتها، وإن أردتُ صرفتها إلي.

وقال أحدهم: إن الشيخ الجيلاني هو غوث الأغواث، وإن له حق التثبيت في اللوح المحفوظ، وأنه يملك أن يجعل المرأة رجلاً.

ونقل البريلوي شيخ الطريقة البريلوية بالهند وباكستان وبنقلاديش: أن الشيخ عبد القادر كان يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، ويقول: ما تطلع الشمس حتى تسلم عليَّ.

وقال البريلوي كذلك: إن الشيخ عبد القادر فرش فراشه على العرش، وأنزل العرش على الفرش[٥].

مصدر هذه الأكاذيب وغيرها:

مصدر هذه الطوام العظام، والآفات الجسام، وغيرها كثير، كتاب كبير في ثلاث مجلدات في مناقب الشيخ عبد القادر جمعها من غير خطام، ولا زمام، ولا تحرير، ولا اهتمام أبو الحسن الشطنوفي المصري، فهو الذي تحمل بثها، وحسبه أن يبوء بوزرها، لا ينقص ذلك من أوزار من اتبعه شيئاً، وهو قد أساء للشيخ عبد القادر من حيث أراد الإحسان.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (كان الشيخ عبد القادر رحمه الله في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكَتَبَ فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.

> **مصيبة الصوفية الكبرى، وداهيتهم العظمى أنهم لا يميزون بين الصحيح والموضوع، ولا بين الباطل والحق، بل يتلقون جلَّ عقائدهم عن طريق الهواتف والمكاشفات، والأحاديث الموضوعات**

وقد رأيتُ بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رحمه الله، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه)[٦].

قلت: مصيبة الصوفية الكبرى، وداهيتهم العظمى أنهم لا يميزون بين الصحيح والموضوع، ولا بين الباطل والحق، بل يتلقون جلَّ عقائدهم عن طريق الهواتف والمكاشفات، والأحاديث الموضوعات، وقد ميز الله هذه الأمة على غيرها من الأمم بالأسانيد العالية، فلا يقبلون خبراً إلا إذا كان مسنوداً، ورجاله ثقات عدول.

ولهذا قال جمع من السادة العلماء: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فالعلم لا يؤخذ من أي كاتب ولا كتاب، ولا حاطب ليل لا يميز بين صحيح وسقيم، ولا صاحب بدعة وهوى، كما قال مالك الإمام رحمه الله.

- المآخذ التي أخذت على عبد القادر الجيلاني:

لأهل العلم مآخذ أخذوها على هذا الشيخ، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١. له مصنفان هما "الغنية لطالبي طريق الحق"، و"فتوح الغيب"، ضمنها كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٢. خالف متقدمي المشايخ أمثال الجنيد، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهما، الذين كانوا معتصمين بمنهج أهل السنة والجماعة.

٣. بعض الشطحات إن صحت عنه، نحو قوله: "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله"!! ولا أخالها تصح عنه.

٤. السياحة والهيام في البرية، لمخالفة ذلك لما جاء به سيد البرية.

- أقوال أهل العلم عن الشيخ عبد القادر وما نسب إليه:

قال الإمام الذهبي خاتماً ترجمة الشيخ عبد القادر بقوله: (وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه)[٧].

وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: (كان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً، ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب "الغنية"، و"فتوح الغيب"، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ)[٨].

وقال الحافظ ابن رجب معتذراً لما صدر من الشيخ عبد القادر: (ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري وأصحابه مثلاً من العلم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار الذل والحزن والانكسار، والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

والمحبة والشوق ونحو ذلك، فلا ريب أنه يزدري المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم، فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي عظيم الخبرة بأحوال السلف والصدر الأول، قل من كان في زمانه يساويه في معرفة ذلك، وكان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم، وقسط من مشاركتهم في معارفهم، كان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين ويشتد إنكاره عليهم.

وقد قيل: إنه صنف كتاباً ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة.

إلى أن قال: وللشيخ عبد القادر رحمه الله كلام حسن في التوحيد والصفات، والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.

وله كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق"، وهو معروف، وله كتاب "فتوح الغيب"، وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيراً، وكان متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوها بالسنة، بالغاً في الرد على من خالفها)[٩].

لا شك أن الكمال لله وحده، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ينبغي لأحد أن يقلد دينه الرجال، أو أن يقلد أحداً في كل ما يقول سوى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وينبغي للمسلم أن يزن كلام أي إنسان بميزان الشرع، فما وافق الكتاب قبل وما خالف الكتاب والسنة رُدَّ ولا كرامة.

لقد أمرنا الله باتباع الطريقة المحمدية والتمسك بالسنة المرضية ونبذ ما سواها من الطرق الصوفية وغير الصوفية البدعية، وما عداها من المناهج: "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله"[١٠]، وقال رسوله الناصح الأمين: "وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة؛ قيل: ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي اليوم"[١١]، فمن كان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام فهو الناجي، ومن خالف ذلك فهو الهالك الخاسر.

عليك أخي الحبيب بالحنيفية السمحاء، والمحجة البيضاء، والطريقة المثلى، طريقة النبلاء الشرفاء، أتباع الرسل والأنبياء، وإياك إياك أن تنتمي إلى غيرها من هذه الطرق، فكلها والله بدع ومخالفات وعقائد فاسدة ومناهج متحرفة.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في وصف هذه الطريقة المحمدية المثلى: (الطريقة المثلى هي المحمديَّة، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً"[١٢]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لكني أصومُ وأفطرُ، وأقومُ وأنامُ، وآتي النساء، وآكلُ اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[١٣]، فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمزق، ولا الوصال، بل ولا صومَ الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: "لينفق ذو سعة من سعته"[١٤]، وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا صلى الله عليه وسلم[١٥]،

من اعتقد أن شيخاً يحلُّ له ما حرَّم الله، أو يرفع عنه ما أوجبه على خلقه كالصلاة مثلاً، فقد كفر

وكذلك اللحم، والحلواء، والعسل، والشراب الحلو البارد، والمِسْك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

ثم العابدُ العَرِيُّ من العلم متى زهد، وتبتل، وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، ضعفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، ولا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج، وولج الشيطانُ في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانُه، فالخلوة والجوع أبوجاد الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بل السلوك الكامل هو الورعُ في القوت، والورعُ في المنطق، وحفظُ اللسان، والتلاوةُ بالترتيل والتدبر، ومقتُ النفس وذمُّها في ذات الله، والإكثارُ من الصوم المشروع، ودوامُ التهجد، والتواضعُ للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة، وكثرة البشر، والإنفاقُ مع الخصاصة، وقولُ الحق المر برفق وتؤدة، والأمرُ بالمعروف، والأخذُ بالعفو، والإعراضُ عن الجاهلين، والرباطُ بالثغر، وجهادُ العدو، وحجُّ البيت، وتناولُ الطيبات في الأحايين وكثرة الاستغفار في السَّحَر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم)[١٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

(*) أستاذ مشارك بجامعة إفريقيا العالمية، رئيس الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة، السودان – الخرطوم

١. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.
٢. البريلوية: عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير.
٣. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.
٤. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي. ٥. وفيات الأعيان لابن خلكان.

الهوامش

(١) انظر وفيات الأعيان ج٢/٣٧٤.

(٢) سياحة أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الجهاد في سبيل الله، أما ما يفعله بعض المتصوفة من الهيام في البرية فليس له أصل في دين الله عز وجل، ولم يؤثر عن علم من الأعلام، وكذلك الخروج الذي تفعله جماعة التبليغ ليس له أصل في الدين. (٢) ديوان البرعي ص١٠٧.

(٣) يعني المولى عز وجل أويعني الرسول صلى الله عليه وسلم، تعالى الله ورسوله عن هذا الافتراء.

(٥) انظر كتاب البريلوية: عقائد وتاريخ، للشيخ إحسان إلهي ظهيري، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ، الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باسكتان، صـ ٥٧، ٧١، ٧٢.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ج١/٢٩٣.

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٠/٤٥١.

(٨) البداية والنهاية لابن كثير المجلد ٦.

(٩) ذيل طبقا الحنابلة لابن رجب الحنبلي ج١/٢٩٥-٢٩٦. (١٠) الأنعام: ١٥٣.

(١١) رواه أهل السنن الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(١٢) المؤمنون: ٥١.

(١٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري ج٩/٨٩-٩٠، ومسلم رقم [١٤٠١]، والنسائي ج٦/٦٠ ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. (١٤) الطلاق: ٧.

(١٥) أخرجه أحمد ج٢/١٢٨ ، و١٩٩، و٢٨٥، والنسائي من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إلي من الدنيا النساءُ والطيبُ، وجعلت قرة عيني في الصلاة"، وسنده حسن، وصححه الحاكم ج٢/١٦٠، ووافقه الذهبي.

(١٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٢/ ٦١٨٩.

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

تجـــــربتي الصوفيـــــة

د. عبـــد الله الشـــارف

...مع بداية السنة الدراسية (١٩٧٩م–١٩٨٠م) غادرت مطار طنجة متجهاً نحو باريس طلباً للعلم والمعرفة. ثم قصدت جامعة السوربون، وولجت مكتب تسجيل الطلبة الجدد حيث تم قبولي في شعبة علم الاجتماع، تخصص الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية. وبعد سنة من البحث والدراسة، حصلت على دبلوم الدراسات العليا المعمقة في موضوع " دراسة حول الوضعية القانونية للعمال المغاربة المهاجرين بفرنسا".

ومما أثار انتباهي فور وصولي إلى باريس، اهتمام كثير من الكتاب الفرنسيين بالإسلام وقضايا المسلمين السياسية والاجتماعية، خاصة بعد اندلاع الثورة الإيرانية، التي وصلت أصداؤها إلى أسماع كل المواطنين، كما تسابقت الصحف إلى نشر أخبارها ووصف أحداثها ووقائعها. وقد دفع هذا الحدث التاريخي كثيرا من المعاهد والمؤسسات الثقافية، وكذا المتخصصين في موضوع الإسلام وشؤون المسلمين، إلى مزيد من البحث في هذا الموضوع، فلم تمض سنة واحدة حتى أضحت واجهات المكتبات الباريسية مليئة بالمؤلفات والدراسات حول الإسلام ديناً وثقافة وسياسة، كما لاحظت فيما بعد إقبال كثير من الطلبة الفرنسيين على شعبة الدراسات الإسلامية في جامعة السوربون.

وذات صباح ركبت قطار المترو قاصداً معهد الدراسات العليا الشرقية لكي أحضر درس الأستاذ ميشال شولدفيتسك حول التصوف الإسلامي. ولما دخلت قاعة الدرس، وجدتها غاصة بالطلبة والباحثين المغرمين بالفكر الصوفي. عندما أخذت مقعدي كان الأستاذ على وشك الانتهاء من مقدمة تتعلق بكتاب عوارف المعارف للسهروردي المتصوف، والحاضرون ينصتون إليه في خشوع كأن على رؤوسهم الطير. ثم شرع في قراءة نص طويل من الكتاب المذكور وأتبعه بترجمة فورية.

لم يكن الأستاذ الباحث ميشال شولد يفيسك وحيداً في هذا المجال، بل هناك عشرات من الباحثين والأساتذة ممن يهتمون بالموضوع نفسه.

ويبدو أن موضوع التصوف قد تبوأ مكانة لا بأس بها في الجامعات، والمعاهد، والمؤسسات والجمعيات الثقافية، التي تهتم بدراسة الحضارات الشرقية.كما أن دخول الفرنسيين في الإسلام غالباً ما يتم من باب التصوف. وهذا يسري حسب اطلاعي على معظم الغربيين الذين اختاروا الإسلام ديناً جديداً؛ ذلك لأنهم يلتجئون إلى الحياة الصوفية فارين من لهيب الحياة المادية. ولا يستغرب المرء عندما يسمع بوجود فرنسيين منتسبين إلى زاوية أو طريقة صوفية معينة. ولقد التقيت بمجموعة منهم ينتسبون إلى شيخ يعيش في دمشق و يقومون بزيارته عندما يشتاقون إليه، كما التقيت بآخرين لهم علاقة قوية بالزاوية البودشيشية ببركان.

ولقد كنت من ناحية أخرى حريصاً على حضور دروس ومحاضرات بعض كبار الأساتذة المتخصصين في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية؛ وعلى رأسهم الأستاذ كلود ليفي ستراوس الذي بلور الأنتربولوجيا البنيوية كما بلور نظريات كثيرة في ميدان الفلسفة البنيوية عموماً. كما كنت أستمع إلى دروس الأستاذ جورج بلاندييه المتخصص في الأنتربولوجيا السياسية، وكذا إلى دروس ميشيل فوكو المتعلقة بفلسفة المعرفة، ومحاضرات الأنتربولوجي المستشرق جاك بيرك والأستاذ الأنتربولوجي أندريه آدم. ولقد كنت معجباً بهؤلاء الأساتذة الكبار، ومنكباً على قراءة وفهم ما كتبوه من كتب ومقالات،

كما كنت منبهراً بالأساليب والطرق والمناهج العلمية التي يوظفونها في تحليل نظرياتهم وأبحاثهم.

بيد أن رياح التصوف هبت على حين غرة، فتغيرت الوجهة ومال القلب الى نسمات المعرفة الروحية.

العوامل الممهدة للخلوة الصوفية:

١- جو الحرية والإباحية في العاصمة الفرنسية

لما حللت بباريس في فاتح محرم الحرام سنة (١٤٠١هـ) موافق نوفمبر (١٩٧٩م) وبدأت أحتك بأفراد هذا المجتمع الجديد، كانت تنتابني أحياناً حالة نفسية رهيبة، مصدرها الخوف من الذوبان وفقدان الهوية. غير أن اهتمامي بالدراسة والتحصيل كان يخفف من وطأتها، كما أن العلاقات الأولى التي نسجتها مع بعض الطلبة المغاربة، جعلني أشعر بنوع من الدفء النفسي.

والحقيقة أن الواقع النفسي والشعوري للطالب العربي المسلم في البلدان الأوروبية، قلما يسلم من الهزات العنيفة؛ لأن هذا الواقع يشكل مسرحاً للصراع بين ثقافتين متعارضتين أشد التعارض.

وخلاصة القول؛ إن واقع الاستعلاء والهيمنة وإلغاء الآخر، بالإضافة إلى ما ذكرت من مظاهر التحرر والخلاعة والإباحية ؛ هذه الأسباب شكلت أحد العوامل الرئيسة في

ظهور ميلي إلى نوع من الانطوائية والهروب، الأمر الذي شجعني على

الاهتمام بالتصوف واللجوء إليه واتخاذه حصنا وملجأ.

٢ - ربط علاقات الصداقة بفرنسيين متصوفة:

شاء ربي وخالقي أن أتعرف إلى ثلاثة من الطلبة التونسيين؛ أحدهما يدرس الطب والآخران يدرسان الهندسة. وكانوا على صلة حميمة بأسرة فرنسية تدعى؛ روتي، حيث كانوا يزورون بيتها كل يوم سبت بعد العصر. وذات يوم اقترحوا علي مصاحبتهم فأجبتهم لذلك.

كان حديثنا ونحن في القطار، يدور حول موضوع هذه الأسرة الفرنسية وما تتصف به من صفات التدين والمعرفة. وبعد ما يقرب من عشرين دقيقة، أشرفنا على مدينة صغيرة تدعى أنطوني، وهي من المدن الكثيرة التي تنتشر حول العاصمة الفرنسية. وبما أن الوقت صيفاً، فإن السيد يعقوب روتي قد استقبلنا في بستان منزله الجميل، وقدم إلينا أكواباً من المشروبات الطبيعية أعدتها زوجته.

ولقد كان إعجابي كبيرا، وأنا أستمع إلى حديث هذا الرجل في موضوع التصوف، حيث كان ينتقل من القرن الثالث الهجري إلى القرن العاشر، ثم ينحدر إلى القرنين السادس والسابع، متحدثاً عن أقطاب الصوفية وأعلامهم، ومستشهداً بأفكارهم وأشعارهم وخواطرهم، وما قاموا به من أدوار في إصلاح وتربية النفوس وتزكيتها، كل ذلك بلغة فرنسية رصينة على طريقة الأساتذة المتخصصين.

وكنت بين الفينة والأخرى أتفرس وجوه أصدقائي التونسيين فأجد عيونهم ترنو إليه بإعجاب كبير، ناهيك عن العبارات الأدبية والأخلاقية التي كان يستعملها معنا و مع عموم الزوار، مما تجعل القلوب تهوي إليه وإلى منزله.كما كان يقوم بخدمة زواره بنفسه ويكرمهم أيما إكرام.

بعد أن أدينا صلاة العصر في قاعة فسيحة، بدأ الزوار يتوافدون على البيت إلى أن قارب عددهم عشرين شخصاً. وبعد بضع دقائق غادروا تلك القاعة، ثم رجعوا إليها وقد لبس كل واحد منهم عباءة بيضاء، واستعملوا الطيب وجلسوا في شكل حلقة صوفية. ثم دخل الشيخ عبد الحميد روتي، والد السيد يعقوب، وهو رجل في سن الثمانين، وكان قد دخل في الإسلام في بداية الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي. فلما جلس وحيانا، نظرت إلى القوم فإذا هم صامتون ينظرون إليه من طرف خفي.

وبعد قراءة الفاتحة، افتتح الشيخ حزباً من أحزاب أبي الحسن الشاذلي، فتبعه الحاضرون، وقد أخذ كل واحد منهم كتيباً يقرأ فيه، ثم تليت أحزاب أخرى ودعوات. واستمر الحال إلى وقت آذان المغرب. وبعد الصلاة عاد القوم إلى وضعهم الحلقي، ثم جيء بأطباق مليئة بالزيتون، وأخرى بالخبز وكذا بأكواب من الماء. ولاحظت أن الحاضرين كانوا أثناء الأكل، يتجاذبون أطراف الحديث بنوع من المودة الصادقة، وكأنهم أعضاء أسرة واحدة. بعد ذلك انصرفنا وودعنا السيد يعقوب روتي، وتواعدنا على اللقاء في السبت القادم.

الولادة الثانية وهي ولادة معنوية جديدة تشكل نقطة البدء في الحياة الصوفية الجديدة، والتي هي طريق صوفي باطني تطهيري قائم على قطع علاقات الصوفي المختلفة بالعالم وإضعاف ذاتيته إلى حد التضاؤل والفناء

وهكذا بعد أن توطدت العلاقة بيني وبين أسرة روتي، علمت أن السيد يعقوب وأباه قد كتبا باللغة الفرنسية كتباً لها علاقة بالتصوف، وأخرى تعرف بالدين الإسلامي. وقد أهديا إلي نسخاً منها. كما كنت أستعير من مكتبتهما كتباً في التصوف كلما زرت منزلهم.

لقد شكل هذا اللقاء منعطفاً خطيراً في حياتي، كما كان له أثر بليغ في كياني، ومن ثم فإني أعتبره من العوامل الأساسية في ولوجي عالم التصوف والتجربة الصوفية. وكان ذلك سنة ١٤٠٠هـ موافق لسنة ١٩٨١م.

لم أعد أحفل كثيراً بمتابعة دروسي في علم الاجتماع بجامعة السوربون، وإنما ألفيتني أنتقل بين الكليات والمعاهد العليا باحثاً عن أساتذة الدراسات الإسلامية والشرقية لعلي أجد من بينهم من يشفي غليلي بحديثه عن التصوف الإسلامي. كما كنت أخصص الساعات الطوال لقراءة كتب المتصوفة، وذلك في مكتبات الجامعات، وكذا في المكتبات العمومية مثل المكتبة الوطنية الشهيرة. وهكذا قرأت لأبي حامد الغزالي كتابه "إحياء علوم الدين" ومجموعة من رسائله؛ مثل "المنقذ من الضلال"، "والأربعين في أصول الدين"، "ومعارج النفس إلى مدارج القدس"، و"مشكاة الأنوار"، و"المضنون به على غير أهله"، و"القسطاس المستقيم"، و"إلجام العوام عن علم الكلام"، و"الدرة الفاخرة في علوم الآخرة". كما قرأت كتاب "قوت القلوب" لأبي طالب المكي، و"رسالة" أبي القاسم القشيري، وأجزاء من كتاب "الفتوحات المكية" لمحي الدين بن عربي، وعشرات من رسائله، كما قرأت رسائل الحكيم الترمذي، وكتب شهاب الدين السهروردي. وقرأت كتاب "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم، وكتابات ابن سبعين، وأقوال أبي منصور الحلاج، وأبي يزيد البسطامي، والشبلي، وأبي القاسم الجنيد، ورسائل الحارث المحاسبي، وأشعار ابن الفارض وحِكَم ابن عطاء الله السكندري وشرح أحمد بن عجيبة لها، وعشرات الكتب والرسائل الأخرى لا أستحضرها الآن، كما قرأت كتباً ومقالات كثيرة عن التصوف باللغة الفرنسية.

لقد مكثت ما يقرب من سبع سنوات وأنا ألتهم كتب الصوفية وأحلق معهم بخيالي ورؤاي في عوالمهم اللامحدودة، وأنعم بطمأنينة نفسية عميقة. فكان هذا العالم الباطني الذي أسبح في أرجائه، بمثابة الحصن المنيع الذي حال دون تسرب سموم الثقافة المادية إلى كياني، بل كنت أتجول في شوارع العاصمة الفرنسية وأنا مشغول بالذكر أو التفكر أو المحاسبة النفسية. ولم يعد للصور الخليعة المعلقة على جدران محطات المترو، ولا لمظاهر الخلاعة المنتشرة هنا وهناك، ولا لمعاني الثقافة المادية وجود في ذهني أو رسم في مخيلتي. وكانت شخصية أبي حامد الغزالي أهم شخصية صوفية أثرت في نفسي، بحيث لم أكن أمل من قراءة كتبه، كما كنت مولعاً بتحديق النظر باستمرار في رسائل ابن عربي الحاتمي والغوص فيما تتضمنه من معاني وأفكار. كما كنت أكثر من قراءة مؤلفات الشيخ عبد الواحد يحيى – رونيه كينو سابقاً – المفكر والمتصوف الفرنسي.

وعندما أنهيت رسالتي حول وضعية العمال المغاربة المهاجرين في باريس وضواحيها، وحصلت على شهادة دكتوراه السلك الثالث سنة ١٩٨٤م، رجعت إلى بلادي راجياً من الله أن أجد مكانا بين أسرة التدريس في إحدى الجامعات المغربية، لكن بعد أسابيع من التنقل بين تلك الجامعات، رجعت إلى مدينة تطوان بخفي حنين راضياً بقضاء الله وقدره ثم ألم بي حنين الرجوع إلى الديار الفرنسية لمتابعة الدراسة والتحصيل وذلك سنة ١٩٨٥م.

قصدت جامعة السوربون من جديد واخترت هذه المرة شعبة الفلسفة، وبدأت أبحث عن أستاذ مشرف بعد أن حددت موضوعاً للبحث والدراسة، وهو: "الفكر الصوفي عند أحمد بن عجيبة المغربي"، فطلبت مقابلة الدكتور محمد أركون، وعرضت عليه الموضوع، لكنه اشترط علي استعمال منهجية التحليل النفسي، واستخدام آليات وأدوات علم النفس في دراستي لهذه الشخصية الصوفية. فقلت له: إن موضوع التصوف لا يمكن إخضاعه لآليات العلوم الإنسانية الحديثة، كما أن التجارب الصوفية لا علاقة لها بالأمراض والعقد النفسية كما تدعون.؟!!

وبعد أيام عثرت على أستاذ آخر كان يدعى بيير تييه، فاقترحت عليه موضوعا آخر تحت عنوان: "دراسة حول المعرفة والأخلاق عند أبي حامد الغزالي"، فقبل الإشراف وتم تسجيلي في الجامعة.

وبعد ثلاث سنوات أنجزت الأطروحة وقدمتها للمناقشة، بيد أنني سافرت إلى المغرب في نهاية الموسم الدراسي لسنة ١٩٨٨م، وحصلت على منصب أستاذ مساعد في كلية أصول الدين بتطوان، فلم أرجع بعد ذلك إلى فرنسا وبقيت الأطروحة بدون مناقشة!!

وفي سنة ١٩٩٩ م حصلت على شهادة دكتوراه الدولة، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان؛ في موضوع: "الاستغراب في المغرب الأقصى، ظواهره وقضاياه"، الأمر الذي زهدني في الرجوع إلى باريس لمناقشة الأطروحة المعلقة ؟!!

٣- معاناة روحية ونفسية

وذات صباح بينما أنا جالس في غرفتي وقد أطلقت العنان لمخيلتي، إذا بي أطل من نافذة على عالمي الجنة والنار؛ ينشرح صدري تارة وينقبض أخرى، ويهيم قلبي لحظات ويطرب لانعكاس ألوان النعيم في مرآته، ثم يضيق ويتألم لورود ما يخيفه ويزعجه من صور العذاب وهول الجحيم، حتى غدا باطني مسرحاً لصراع عنيف بين النعيم والجحيم، والشقاوة والسعادة، والطمأنينة والحيرة. وما هي إلا دقائق معدودة حتى فوجئت بنداء ينبعث من صميم قلبي وهاتف يهتف بي: إلى متى هذا النوم؟ إلى متى هذه الغفلة؟ ألا من يقظة توقظ عزمك، وتضيئ ما ادلهم من ليل حالك، وتذيب حجارة القسوة الجاثمة فوق قلبك. أما آن لهذا القلب أن يلين ويخشع؟ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)؟ ولهذه العين أن تبصر وتتبصر وتدمع؟ ما لهذا خلقت يا عبد الله؟ وما خلق الله شيئا عبثاً أو سدى بل كل في فلك يسبحون وبكل لسان يسبحون، فأين لسانك؟ وأين قلبك؟ وأين قصدك؟ وما وجهتك؟.

ومرت الأيام وشعاع ذلك الهاتف يزداد توقداً، وصوت النداء الباطني يزداد قوة وحدة، فعزمت على الخروج عن العادات والمألوفات،

> **لم يكد يمر يومان على ممارسة الذكر بالاسم المفرد، حتى حصل في باطني ما لم أستطع تحمله في الساعات الأولى، لقد فوجئت بموسيقى تتفجر في دماغي ويصل صداها إلى أذني الباطنيتين!!.**

والاقتداء بأرباب العزائم، ووطنت نفسي على ذلك كيف لا "والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق، والنفوس على فواتها تذوب وتحترق".

ثم أعقب حال اليقظة والانتباه شعور عميق بالذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب سبحانه وتعالى، يقول رب العزة: (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد).

ومضت أسابيع بل شهور، وأنا على هذه الحال أشعر بانجذاب قوي نحو الحق سبحانه وتعالى، وصرت حريصاً على أداء الصلوات في وقتها، وكما شرعت في الاجتهاد في نوافل الطاعات، وفي مطالعة كتب فقه العبادات، بالرغم من صعوبة ظروف العيش والإقامة في بلاد الغربة.

فلما رأيت أن القرآن العظيم مملوء بالتزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها ودناءتها وسرعة انقطاعها وفنائها، وأنها " دار من لا دار له ولها يجمع من لاعقل له"، حمدت الله على حالي وشكرته إذ لم يبتلني بالغنى الذي يطغي، وإنما جعلني طالب علم بعد أن جاء بي إلى ديار الغربة.

لم تكد تمضي سنة واحدة على عالم التصوف الفكري من خلال الاحتكاك المتواصل بمجموعة "روتي"، والإكثار من قراءة كتب المتصوفة والاطلاع على التجارب الصوفية لأقطابهم، حتى بدأت أفكر جدياً في ممارسة تجربة صوفية عملية، وتراءت لي الخلوة – ولو مؤقتاً- أحسن وسيلة ناجعة في درب التصوف العملي. لكن كيف أختلي بنفسي يا ترى وأنا مقيم في عاصمة لا مكان فيها للخلوة أو العزلة؟ بالإضافة إلى أنني كنت على صلة دائمة بالطلبة التونسيين الثلاثة وبطالبين أخوين مغربيين، ثم بدا لي أن أؤجل الخلوة إلى حين. لكنني اجتهدت في تربية النفس وتزكيتها.

أصبحت النفس موضوع تفكيري وتأملي، وصرت أبحث عن عالمها في بطون كتب الفلسفة وعلم النفس، بالإضافة إلى كتب التصوف. فتكونت لدي حصيلة لا بأس بها، لكنني كنت كل يوم أزداد اقتناعاً بأنه لا يمكن لإنسان فهم نفسه حق الفهم دون امتلاك أداة الذوق، إذ إن أداة المعرفة غير كافية لكونها توقفك فقط على عتبة العالم النفسي. أما اجتياز العتبة ودخول المنزل فأمر متوقف على الذوق، وما أدراك ما الذوق!!

ثم اهتديت بعد ذلك من خلال مطالعتي وتأملي إلى وسيلة كثيراً ما ينصح بها الصوفية مريديهم وهي الرياضة الروحية، فبدأت أكثر من الصيام، حتى أنني اغتنمت فرصة غياب أصدقائي في عطلة الصيف، فصمت أربعين يوماً متتالية مع الاجتهاد في الذكر والعبادة. ثم بدأت أقلل من كمية الطعام، بل أمسكت عن أكل اللحم والسمك والبيض...إلخ، واقتصرت على القطنيات والحليب والخبز، ما يقرب من سنة لغاية أن جسمي بدأ يهزل، وقل وزني كثيرا وصرت أشعر بخفة في نفسي، وصفاء في ذهني مع ميل إلى الصمت، واعتزال أصدقائي ما أمكنني ذلك. كما صرت أتحسس خمود القوى النفسية الحيوانية كالقوة الغضبية والقوة الشهوانية.

والحقيقة أن هذا التحول العميق هو ما يعبر عنه الصوفية بـ"الولادة الثانية". وهي ولادة معنوية جديدة تشكل نقطة البدء في الحياة الصوفية الجديدة، والتي هي طريق صوفي باطني تطهيري قائم على قطع علاقات الصوفي المختلفة بالعالم وإضعاف ذاتيته إلى حد التضاؤل والفناء.

ولما كان أصل المجاهدة وملاكها يكمن في فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها وإبعادها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، باتت مسألة الخلوة من المسائل التي تؤرقني وتصيِّر ليلي نهارا. فصرت أحلم بخلوة أربعينية على منهج الصوفية، تلك الخلوة التي حببها إلي أبو حامد الغزالي غفر الله له، عند ما ذكر حديثاً منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " من أخلص لله أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه" [١]فتأثرت بهذا الحديث وظننته صحيحاً لقلة زادي في علم الحديث،ولم أتحمل عناء البحث في أصله ومدى صحته؛ شأني في ذلك شأن معظم الصوفية.

فأصبح شغلي الشاغل هو إيجاد مسكن أعيش فيه وحدي بعيداً عن الأصدقاء، وحيث يمكنني أن أمارس فيه خلوتي. وبعد أن أنهكني البحث وبلغ مني اليأس مبلغه، إذا بي أرى في منامي صديقاً لي طالباً مغربياً كان يمارس التصوف، وكنت قد أعجبت به وبأخلاقه، ثم انقطعت عني أخباره ولم أعد أراه، فعجبت له عندما بادرني قائلاً: "يا عبد الله! إنك تبحث عن مسكن تختلي فيه بنفسك، أليس كذلك؟ قلت له: بلى، فقال لي: لكنك أخطأت الطريق عندما لم تستخر الله،ألا تعلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يستخير الله في كل أموره؟!". ولما استيقظت من نومي مبشراً بالرؤيا حمدت الله وأثنيت عليه، وبعد صلاة العشاء صليت ركعتين وقرأت دعاء الاستخارة ثم طلبت من الله أن ييسر لي أمري، وإذا بي أرى في منامي في الليلة التالية طالباً مغربياً آخر كان يدرس الهندسة فقال لي: يا عبد الله! إنني أعلم بأنك تبحث عن مسكن، وبما أنني أنهيت دراستي فسأسلم لك- إن شئت- مفتاح غرفتي بالحي الجامعي بمدينة أنطوني جنوب باريس، غير أنك لا تخبر إدارة الحي بسفري، وما عليك إلا أن تؤدي ثمن الكراء كل شهر".

وبعد أسبوعين زارني الشخص نفسه، فلم أحدثه بالرؤيا لكنه بادرني قائلاً: إن كنت تريد مغادرة هذا البيت فإني أعرض عليك الإقامة في غرفتي بالحي الجامعي، فقد أنهيت دراستي وإني أنوي الرجوع إلى المغرب. فدهشت لمطابقة حديثه رؤيتي، وازددت يقيناً بأن طريق الخلوة يتهيأ بقدرة قادر!!

لقد أيقنت بأن التصوف غدا بالنسبة لي خياراً روحياً لا مفر منه بل صرت أشعر بما يشبه النداء الباطني أو هاتف غيبي يهتف في كياني يدعوني إلى الخلوة والعزلة.

الخلوة الأربعينية:

٣- ولوج الخلوة

اشتريت ثلاثة أو أربعة كيلوغرام من الدقيق، و لتراً واحداً من الزيت وقليلاً من السكر والعنب المجفف، و الملح و بعض العلب من الحليب، ودخلت مسكني الجديد في الحي الجامعي بمدينة أنطوني بعد أن ودعت أصدقائي.

كان المسكن يحتوي على غرفة واحدة و مطبخ صغير، حيث كنت أهيئ طعامي؛ أجعل جزءاً منه للافطار بعد صلاة المغرب، وجزءاً آخر أحتفظ به لوقت السحور، وهو عبارة عن رغيف كنت أصنعه بنفسي، واعتمدت طريقة

بعد الخلوة.. فقدت إرادة التفكير في موضوع الدراسة الجامعية، ولم أعد أقوى على استحضار صور أقاربي وأصدقائي

الإقلال من كمية الطعام تدريجياً، حتى صرت بعد أسبوعين أكتفي بربع الرغيف في المغرب، وربع في السحور مع حبات من الزبيب المجفف.

لقد كنت أوزع وقتي بين الصلاة، و التلاوة والذكر، والتأمل والتدبر، واجتهدت كل وسعي في تجريد عقلي من كل الخواطر النفسية المضنية، و التي لا طائل تحتها، وفي طرد الوساوس و الأفكار المتعلقة بالدنيا... وبعبارة أخرى أخضعت نفسي لعملية التخلية باعتبارها خطوة أولى وأساسية في درب التجريد والتصفية الروحية.

وما أن شارف الأسبوع الأول على النهاية، حتى كانت ثمرات الذكر قد أينعت؛ إذ فارقت الهموم قلبي، وحل محلها هم واحد وهو مذكوري وخالقي، وانكشفت غيوم الغموم وأقبلت وفود الفرح والسرور والبسط، وبذرت أرض القلب، وإذا بنبات المحبة يعلوه البهاء قد كسا سطح تلك

الأرض، فخضعت الجوارح وخشع الكيان وأقبلت المراقبة والإنابة، وغدا المذكور جليسي وأنيسي. وشعرت بالسكينة والطمأنينة والأمان وشيء من حلاوة القرب، كما أن إرادتي بدأت تفنى في مرادي وهو الذكر الذي يحملني إلى مذكوري وحبيبي، ثم حيل بيني وبين دنياي ألبتة، حيث فقدت إرادة التفكير في موضوع الدراسة الجامعية، ولم أعد أقوى على استحضار صور أقاربي وأصدقائي أو مناجاتهم عبر مخيلتي.

نعم إن الذكر بمفهومه اللساني والقلبي، وكذا من حيث أنه تأمل وتفكر وتدبر وطاعة وامتثال لأوامر الله، هذا الذكر له تأثير في تقوية الإرادة المثالية الهادفة واستثارة طاقاتها.

٤- الذكر

في بداية الأسبوع الثاني عزمت على ممارسة الذكر بالاسم المفرد "الله، الله".. وكنت قبل بضعة شهور قد قرأت كتاباً لابن عطاء الله السكندري تحت عنوان "القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد"، كما أن كثيراً من المتصوفة أشاروا إلى المزايا والمنح التي يجنيها الذاكر من ممارسته لهذا النوع من الذكر. وهكذا توكلت على الله واستقبلت القبلة وأغمضت عيني، واستحضرت عظمة الله سبحانه وتعالى، وجلاله وجماله وكماله وفضله ولطفه، وتأملت أسماءه الحسنى وصفاته العلا، حتى تغلغلت معانيها في ذهني ونهل من رحيقها قلبي، كل ذلك وأنا أستحضر في مخيلتي لفظ الجلالة. ثم شرعت في قولي: "الله، الله، الله...." بكل بطء وسكينة مع تحريك اللسان حركة ضعيفة جداً، وسرعان ما حصل تواطؤ اللسان والقلب وانشرح الصدر، وخمدت الجوارح والأعضاء. ومكثت على هذا الوضع ما يقرب من ساعتين.

لم يكد يمر يومان على ممارسة الذكر بالاسم المفرد، حتى حصل في باطني ما لم أستطع تحمله في الساعات الأولى، لقد فوجئت

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

بموسيقى تنفجر في دماغي ويصل صداها إلى أذني الباطنيتين!!. فقلت في نفسي: لعل ما أسمعه قد حمله إلي الأثير من إحدى الغرف المجاورة، ففتحت نافذة الغرفة ولم أسمع شيئاً، لا سيما وأن معظم الطلبة القاطنين كانوا في سفر بسبب عطلة من عطل السنة الدراسية. غير أن صوتاً واحداً كان يصل إلى مسمعي مصدره حركة السيارات على طريق سيار بالقرب من مبنى الحي الجامعي. والغريب أن تلك الموسيقى كانت ألذ ما سمعت أذناي من أنواع الموسيقى، ولها شبه كبير ببعض مقاطع السمفونيات الشهيرة. وأحياناً كان صوتها يفتر قليلاً لكي يعلوه صوت آخر حيرني كثيراً؛ وهو عبارة عن ترتيل لدعوات وأشعار وأذكار يبدو كأنها تصدر من حلقة صوفية لا تبعد عني كثيرا!! وسرعان ما تذكرت ما قاله بعض الصوفية في هذا الشأن فاطمأن قلبي قليلاً، لكنني تساءلت قائلا: وما مصدر الذكر الذي أسمعه؟ ثم فكرت قليلا وأعملت عقلي لكن دون جدوى، فلم أهتد إلى تفسير ولم أعثر على جواب، بيد أن النشوة الروحية الناتجة عن ألحان الموسيقى والذكر، حملتني بعيدا إلى عالم لا محدود أحس فيه بسعادة باطنية لا مثيل لها. لم أكن أشك وأنا في غمرة هذه النشوة الروحية أن هذه هي الحال التي طالما عبر عنها الصوفية بالمنزلة الروحية التي يحصل فيها الإشراق وتفيض عليهم فيها المعرفة الذوقية.

ولقد كان ذلك الإشراق يتجلى لي أحياناً في صورة البرق الذي يومض لحظة ثم يخبو، وأحياناً يدوم لحظات. وهي حال تجل عن الوصف وتصحبها لذة هي من أعظم ما قدر للإنسان أن يحظى به في هذه الحياة الدنيا. كما كان النشيج يباغتني بين الفينة والأخرى، وتنهمر الدموع مدراراً تعبيراً عن الفرح بهذه "النعمة"، وخوفاً من فقدانها زمن الجلوة أي بعد الخروج من الخلوة والعودة إلى مجتمع الناس.

وأحياناً كنت أظل أبكي أوقاتاً طويلة وأنا مضطجع في غرفتي واضعاً خدي على الأرض وقد أصابه بلل الدموع التي امتلأت بها المآقي، يا له من طرب وهيام وأنس!!. وأعقب ذلك إحساس بشهود المنة والجمال، وبقيت أصوات الموسيقى والذكر منبجسة لا تعرف خموداً أياماً طويلة، حتى بعد خروجي من الخلوة.

وذات يوم تذكرت كلاماً متعلقاً بهذا الأمر كنت قد قرأته في كتاب لأحد المتصوفة لم أتذكر اسمه الآن، ولعله ابن عطاء الله السكندري، ومفاده أن المريد السالك إذا ما أكثر من ذكر الله وهو يردد الله، الله،...، قد تنبعث من كيانه أصوات وألحان وموسيقى يجد بها لذة باطنية عظيمة الشأن. وسبب ذلك - حسب قوله- يرجع إلى أن الذاكر بحكم الخلوة والصوم وكثرة الذكر يحصل له من الصفاء الذاتي ما يجعله يستمع إلى ذكر كيانه المادي والعضوي وذلك من خلال العناصر الأربعة الأساسية المكونة لبدن الإنسان؛ وهي الماء والهواء والنار والتراب. فلهذه العناصر لغتها في الذكر والتسبيح يسمعه الذاكر بسمعه الباطني على شكل ألحان موسيقية؟؟!! وهذا تفسير أو تأويل غير مقنع، ولعله أقرب إلى الوهم منه إلى الحقيقة.

وأحمد الله سبحانه وتعالى أن صرفني عن ذكره بلفظ الجلالة بعد أيام قليلة، والتزمت ذكري له بما شرع من الأذكار. ولولا لطفه ورحمته لقذف بي في بحار الأوهام والجنون كما حصل للشبلي وغيره.

أما فيما يتعلق بالأذكار والأمداح التي كانت تنبعث من كياني وأنا أستمع إليها بشغف ومحبة، فإني قد عثرت على كلام لأبي القاسم القشيري يشتمل على توضيحات هامة متعلقة بهذا الأمر، لاسيما وأن هذا الكلام ذكر في سياق الحديث عن الآثار النفسية والروحية الناتجة عن الذكر بالاسم المفرد أي اسم الجلالة.

ولم يثبت عن الصحابة أو التابعين ولا عن الأئمة الكبار أمثال مالك والشافعي وأحمد ابن حنبل وأبي حنيفة، ولا عن رجالات السلف الصالح أنهم خاضوا في هذا البحر وسمعوا أصواتاً وأذكاراً باطنية- مع كثرة ذكرهم وقوة عبادتهم وتبتلهم وخشوعهم- لأنهم كانوا أحرص الناس على اتباع سنة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في الذكر وفي سائر العبادات وأعمال الطاعة، كما أنهم لم يمارسوا الخلوات الصوفية ولا السياحات الرهبانية.

٥- حلاوة الذكر

ولقد أصبح باطني مستقرا لمعاني أسمائه وصفاته، وغدت حقائق الآخرة أقرب إلي من حبل الوريد، بحيث أن نسبتها لقلبي صارت كنسبة المرئي إلى العين. كذلك، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، أي امتلأ بنور الهداية لا بالنور الذي هو صفة الرب تعالى، فإن صفاته لا تحل في شيء من مخلوقاته كما أن مخلوقاته لا تحل فيه، فلا اتحاد ولا حلول ولا ممازجة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وشيئا فشيئا قذف بي الاستغراق الروحي المتصل في عالم الذوق والوجد الإيماني...

وبدأت أحس بمحبة الله تسري في كياني، بل وكأني أستمع إلى لغتها تتغنى بها جوارحي وأضلعي وخلاياي، فتبين لي بيان يقين أن كل ما وقع عليه بصري في الكون وما لم يقع عليه، يسبح ويسبح في فلك محيطه قبضة جلالية. وإذا تجلت لي أنوار الجلال وكنت في موطنه، قوي يقيني فسمعت ذلك التسبيح، وحد بصري بنور بصيرتي، وأحالتني آيات الكون على المكون، فشغلت بمحبوبي عما سواه، وطوي زماني، وقصرت المسافات، وغدا الآجل عاجلا والعسير سهلاً.

٦- محبة القرآن

ولقد حبب إلي القرآن وأقبلت على تلاوته أشد ما يكون الإقبال، وبما أن القلب كان خالياً من الشواغل ونوافذه موصدة في وجه الخواطر الشيطانية، فإن معاني الآيات كانت تنساب في كياني انسياب الماء العذب الزلال في مرئ الظمآن، فكنت أتذوقها وأتنعم بحلاوتها، كيف لا والقرآن " نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها، وحياة القلوب، ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح حي على الفلاح. نادى منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم: ((يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم)).

توالت الأيام... ولم يكد يقبل اليوم الأول من الأسبوع الثالث حتى أصبح قلبي مشغوفاً بالقرآن، وصرت كلما شرعت في قراءته أجهشت بالبكاء فتنهمر الدموع مدرارا، فأشعر ببرد اليقين والأمن والطمأنينة ويخترق صدى قراءتي طبلة أذني، قاصداً شغاف قلبي فيحدث هزات وقشعريرة أجد أثرها اللذيذ في صدري وجوارحي وسائر أعضائي وخلاياي. فتساءلت مع نفسي: لماذا لم أكن أشعر بنفس الشعور عندما كنت أقرأ القرآن قبل الخلوة؟

وقد حضرني أثناء الذكر وقراءة القرآن بعض المعاني والإشارات فكتبتها على شكل ابتهالات.

وذات ليلة بينما أنا أقرأ سورة لقمان، إذا بهاتف يهتف بداخلي: لماذا لا تتعلم الحكمة كما تعلمها لقمان الحكيم؟ اطلب من رب العزة أن يفيض عليك بشيء منها؟ فما كان مني إلا أن ألححت الدعاء سائلاً الله أن يرزقني علماً تكون التقوى أساسه والحكمة تاجه.

ولما توفى الله نفسي في منامي تلك الليلة، زارني رجل يناهز السبعين، في حلة جميلة يعلو الوقار محياه قد تعمم بعمامة بيضاء، فبادرته قائلاً: من أنت؟ فأجابني: أنا الحكيم الترمذي؟؟!! فقلت: ما الذي جاء بك عندي؟ قال: أتيتك لأفسر لك سورة لقمان وأعلمك الحكمة؟؟!! فعجبت لكلامه واستبشرت بقدومه خيراً فقلت في نفسي: لقد جاء على قدر، أو لعل الله قد بعثه إلي ليدلني على طريق الحكمة.

فبدأت أرتل بعض آيات سورة لقمان، ثم انطلق يفسرها تفسيراً باطنياً غريباً ذكرني بتفاسير الشيعة الباطنية... عندما أنهى تفسيره التفت إلي قائلاً: أبشر يا عبد الله فإنك قد بدأت معراجك الروحي، وإنك الآن في السماء الثانية على قدم عيسى؟!! ثم ودعني قائلاً: سأتركك الآن لأن وقت الفجر قد حان فانتبهت من سباتي.

لقد كان لكلامه وقع كبير في قلبي، دفعني إلى البحث بعد الخروج من الخلوة، في موضوع المعراج الروحي الذي مارسه بعض الصوفية وخاصة محي الدين بن عربي. وفهمت من خلال هذا الموضوع أن المتصوفة يؤمنون بإمكانية المعراج الروحي إلى السماوات العلا، وأن كل سماء تعرج إليها روح الصوفي تناسب مقاماً من المقامات أو مستوى من مستويات الترقي الروحي.

واتضح لي بعد بضع سنوات أي زمن التوبة، أن هذه الرؤيا كانت من تلبيس الشيطان ومن إيحاءاته المضللة.

ومرة أخرى رأيت في منامي رجلاً عرفني بنفسه قائلاً: أنا محي الدين بن عربي جئت عندك كي أعلمك كلمات، ففرحت فرحاً شديداً وذلك لمكانة ابن عربي في نفسي وقتئذ، ولكوني كنت معجباً أيما إعجاب برسائله وفتوحاته، فنطق بعبارات ما أن بلغت مسامعي حتى طرب لها قلبي، لكني بعد الانتباه من النوم لم أحتفظ منها سوى بالعبارة التالية: "ولسان حالي قول روحي: أنا لم أكن يوماً هنا أو في مكان...".

ولا يخفى على ذي بصيرة أن العبارة المذكورة لها علاقة متينة بنظرية وحدة الوجود الصوفية، ذلك أن "الروح التي لم تكن يوماً هنا أو في مكان"، على حد قول ابن عربي، هي روح مستغنية عن الحيز والمكان، وإذا كانت كذلك فهي غير حادثة ومخالفة للمحدثات... !!!

ولما أشرفت على نهاية الأسبوع الثاني للخلوة، أيقنت بأن ما يغمرني من السعادة الباطنية والطمأنينة، وما أسمعه من ألوان الذكر والموسيقى وما أحس به من حلاوة روحية تجل عن الوصف، كل ذلك قد تحقق بعد الزهد في الدنيا والعزوف عن زينتها وزخرفها وكذا بعد اعتزال الناس ولو لمدة يسيرة. فغدا عقلي مشغولاً بالتفكير في الطريق المؤدية إلى الاحتفاظ بهذا الكنز الثمين والذخيرة الفريدة.

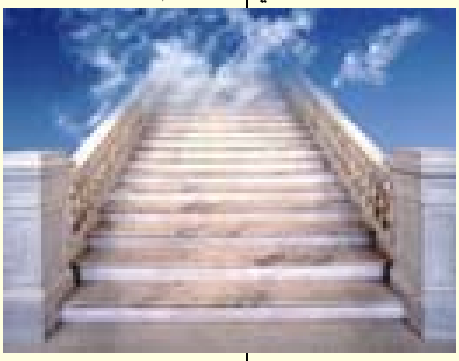

وبعد طول تفكير وإعمال عقل، تبين لي أن الخلاص يكمن في الاقتداء بأرباب السلوك من القوم، والسير على آثارهم. فعقدت العزم على الإعراض عن الزواج وعدم التفكير في موضوعه!! واعتبرته العائق الأول والرئيس الذي يحول دون الممارسة الصوفية الحقة، ويمنع من الترقي في المقامات. وقلت في نفسي: "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه "؟!! كيف يمكنني الجمع بين محبة الله والزواج والأولاد، ولو كان ذلك ممكناً لسبقني إليه أقطاب الصوفية وأبدالهم. فطفقت أتخيل الحياة الزوجية، وكذا أعباءها من إشراف ونفقة وسهر وجسامة الحقوق الزوجية، وثقل الميثاق الغليظ، وخلصت إلى أن هذا يتعارض كلياً مع ما أنا فيه من السكينة والطمأنينة وراحة البال!!

ولما تم لي الفصل في موضوع الزواج، انشغلت بموضوع العمل، فتساءلت مع نفسي: ما هو نوع العمل الذي ينتظرني بعد إنجاز رسالة الدبلوم؟ إنه التعليم بلا شك، وهب أني ظفرت بمنصب في كلية من كليات المغرب، ماذا عساي أدرس فيها؟ قد يسندون إلي تدريس بعض العلوم الإنسانية خاصة علم الاجتماع أو الانثربولوجيا الاجتماعية لكن ما أصل هذه العلوم وما غايتها ومن هم واضعوها ومؤسسوها أليس أربابها كفاراً ملاحدة أمثال أوجست كونت وسبنسر ودوركايم؟ أليس غايتهم القصوى من هذه العلوم هي إقامة القطيعة التامة بين الإنسان وخالقه من خلال المنهج العلماني اللاديني، التي تنبني عليه هذه العلوم.

أترضى لنفسك يا عبد الله أن تكون مفسداً في الأرض بتدريسك لهذه العلوم، وهب أنك توفقت في نقد وإظهار عيوب هذه العلوم، واقتصرت على تدريس ما قد تتضمنه من أفكار ونظريات عملية تفيد في فهم الواقع المغربي ودراسته، ألن يكون عملك في الكلية شاغلاً لك عن الذكر والعبادة والخلوة؟ أتضمن لنفسك المكوث في عالم الطمأنينة والتحليق في فضاء الروح والتنعم بنسيم الإشراقات والإلهامات؟

كان هذا الحوار الذاتي كفيلاً بإعراضي عن التفكير في العمل، بل إن الأمر تعدى إلى أكثر من هذا، ذلك أنني كنت أفكر في عدم الرجوع إلى وطني ألبتة واستبداله بتركيا أو الهند حيث يمكنني أن أحيى حياة صوفية بعيداً عن الأقارب والأحباب والأصدقاء.

وبعد أن تمكنت هذه الأفكار الشاذة من عقلي واستحوذت عليه وصرت أحلق في أرجائها وأتخيل الحياة الطليقة المفعمة بسكينة الروح وحلاوة الذكر والانقطاع إلى الله، بعد كل هذا تدخلت مشيئة الله وحلت عنايته ولطفت بعبده الذي أضحى مشلولاً ومستهدفاً، وانتشلته من أيدي الشياطين التي كانت على وشك الإلقاء به في أودية الهلاك والضلال.

ما الذي حصل يا ترى؟ لقد رأيت في منامي ليلة السابعة عشرة ذلك الشخص الطالب الذي عرض علي الغرفة التي أقمت فيها خلوتي وهو يطرق الباب. فانتبهت من نومي حزيناً خائفاً من تحقق الرؤيا لما في ذلك من إيقاف لخلوتي ونقض لعزلتي. وازداد قلقي لما رأيته في منامي ليلة الثامنة عشرة وهو يطرق الباب أيضاً. ثم استسلمت لأمر الله لما تكررت الحالة في ليلة التاسعة عشرة حيث رأيته جالساً في إحدى زوايا الغرفة وهو يحدثني عن المغرب وأحواله....

وفي منتصف النهار سمعت دقات الباب، فلما فتحته وجدت الشخص ذاته. لقد جاء

لأمر يتعلق بدراسته ومكث معي بضعة أيام، كانت كافية لتبديد بعض الغيوم التي تجسدت في تلك الأفكار الشاذة.

توبة وأوبة:

لقد كنت أثناء ممارستي لهذه التجربة الصوفية مرتبطاً بملكة خاصة، غير ملكة العقل المنطقي، تلك الملكة التي كانت تصلني ببعض الحقائق على نحو خاص، وتقوم فيها اللوامع والإشارات مقام التصورات والأحكام والقضايا المنطقية. ويغمرني من خلالها شعور عارم بقوى تضطرم في باطني كفيض من النور الباهر، ومن هنا كنت أشعر بإثراء في كياني الروحي، وتحرر في أفكاري وخواطري وانطلاق لطاقات حبيسة عميقة الغور في نفسي.

إن هذه المعرفة الذوقية لم تكن قط عملاً من أعمال العقل الواعي، ولا أثراً من آثاره، كما أنه لا شرط لتحققها في وجدان الصوفية غير شرط القانون الذي يحكمهم ويمتثلون أوامره وهو قانون المجاهدة ورياضة النفس على طريقتهم ومنهجهم، فإذا هذه المعرفة إرادة، وإذا هذه الإرادة امتثال والتزام. وهكذا تصبح المعرفة الذوقية مظهراً من مظاهر الإرادة والوجدان والاتصال الروحي.

إن الأساس في تكوين التجربة الصوفية هو المجاهدة والرياضة، ثم الترقي في المقامات والأحوال، ولا تفهم الأحوال الروحية في عين التجربة بغير هذا الاعتبار، وما دام الأمر كله معلق على سلطان هذه الأحوال، فإن مستند الدعاوى التي يدعونها هو منطق الوجدان لا العقل. ولما كانت علوم ومعارف الصوفية يغلب عليها الذوق والكشف الصوفيين، كان من البديهي أن يتسرب إليها الزلل والدخن، ويسودها منطق الأهواء والبدع..

وبعد، أحمد الله سبحانه وتعالى أن رد السفينة إلى الساحل وشاطئ الأمان، بعد أن أوجعتها ضربات الأمواج العاتية.

لقد كانت رحلتي الصوفية – سواء أيام الخلوة التي دامت تسعة عشر يوماً، أو خلال السنوات السبع التي قضيتها مع التجربة الصوفية في فرنسا- مليئة بالاكتشافات في عالمي النفس والثقافة الدينية، كما أن غرائب هذه الرحلة وعجائبها ومظاهرها ومعانيها، أثرت في شخصيتي تأثيراً قوياً حتى كأنني ولدت للمرة الثانية.

والحقيقة أن طبيعة الرحلة الصوفية أهول من السيل بالليل، وطريقها وعر مليء بالأشواك، وأكثر ما يتراءى لصاحبها من معاني وحقائق هي أكذب من البرق الخلب "ورب غيث عاد عيثا"، ووبل صار وبالاً.

نعم هذا الذي حسبته غيثاً كان سيقذف بي في كهوف تركيا أو الهند أو وسط غاباتها هائماً على وجهي.... !!!

لم أكن أتصور وقوع هذه الأمور الفاسدة قبيل الخلوة، بل كان أملي يتلخص في تربية النفس ومجاهدتها وتزكيتها والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى. لكن كيف يا ترى طرأ هذا الخور والهذيان، وحضرتني تلك الخيالات والرؤى الفاسدة المضلة؟! لقد كانت نيتي صادقة، غير أنني أخطأت الطريق عندما مارست الخلوة.

إن الخلوة الأربعينية التي يحث عليها أرباب التصوف مريديهم وأتباعهم لا أصل لها في الكتاب والسنة، يقول محمود عبد الرؤوف القاسم: "الخلوة (أو العزلة): طقس إشراقي أساسي، لابد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة "الإشراق" التي كانت على مدى التاريخ، وما زالت تسمى "المعرفة"، وجاء إشراقيو المسلمين فغلبوا عليها اسم "الصوفية والتصوف".[٢]

كان إشراقيو الأمم، وما زالوا، يمارسون الخلوة في كهوف الجبال والوديان وفي شعابها، وفي أعماق الغابات، أو في كهوف(غرف صغيرة) تبنى في المعابد خصيصاً لهذه الغاية.

ومثلهم تماماً، مارسها متصوفة المسلمين، لكن قرونهم الأولى، استعاضوا عن كهوف المعابد بخلوات في بيوتهم؛ لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا يعرفون الإسلام ويفهمونه، وكانوا يعرفون أن هذه الزندقة غريبة عن الإسلام، فكل من عرف بها أقاموا عليه حد الردة.

> **وبعد، أحمد الله سبحانه وتعالى أن رد السفينة إلى الساحل وشاطئ الأمان، بعد أن أوجعتها ضربات الأمواج العاتية.**

هذه الممارسات والسلوكات التي يطلق عليها الصوفية اسم المجاهدة أو الرياضة النفسية، بعيدة كل البعد عن وسطية الإسلام وهديه، ومنافية لأهدافه السامية القائمة على بناء المجتمع الإسلامي، وإقامة الاستخلاف في الأرض.... وكما أصابتني سهام الخلوة بما تشتمل عليه من جوع وسهر وصمت دائم، حيرتني التغيرات النفسية والروحية العميقة التي باغتني بعد يومين على بدء ممارستي للذكر بالاسم المفرد.

لقد كان لصدى الموسيقى والأصوات والأذكار الجميلة وقع قوي في نفسي مما دفعني إلى التفكير في إقامة قطيعة كلية مع المجتمع خوفاً على هذا الكنز من الضياع!!.

والخلاصة أن الحالة النفسية التي كنت أعيشها كانت أشبه بحال من الأحوال النفسية التي تعتري الصوفية. وكثيراً ما يطغى الحال على العقل والعلم عند أهل التصوف، فيحصل الزيغ وتظهر بعض الشطحات، فإن كل حال لا يصحبه علم غالباً ما يكون من خداع الشيطان.

مكثت خلال السنوات السبع التي تلت الخلوة الصوفية متشبعاً بأفكار المتصوفة ومتأثراً بمنهجهم في السلوك والعبادة. لكنني في منتصف هذه المرحلة الزمنية، بدأت أستعمل حاسة النقد في تحليل بعض المعتقدات الشاذة، التي سادت عند كثير من المتصوفة؛ مثل الأفكار المتعلقة بالمذهب الإشراقي الذي عرف شهاب الدين السهروردي وغيره من الإشراقيين، أو الأفكار التي تدور حول نظرية العشق والمحبة التي اشتهر بها ابن الفارض، وكذلك بعض ما كان يعتقده الحكيم الترمذي، وأبي حامد الغزالي، وابن عربي الحاتمي، من تصورات منحرفة وضالة متعلقة بطبيعة النفس، يظهر أثر الفلسفة اليونانية والفلسفات المشرقية واضحاً في ثناياها.

وهكذا بدأت شيئاً فشيئاً أتخلص من أدران وشوائب كانت عالقة بذهني حتى انتهى بي المطاف، وأنا في خضم النقد الذاتي، إلى الشك في منهج العبادة والسلوك عند المتصوفة. وأظن أنني لو كنت متصوفاً على طريقة صوفية مرتبطة بشيخ حياً أو ميتاً حيث الأوراد والطقوس... لكان تخلصي من التصوف أصعب، لأن المتصوف الطرقي لا يحتكم إلا إلى شيخه وفلسفة طريقته الصوفية، وكذا إلى الإلهامات والإشراقات والرؤى، كما يكون مسلوب الإرادة بعدما تمكنت منه شخصية شيخه، بحيث لم يعد في نفسه متسع لغيره، فيكثر الحديث عنه وعن كراماته طوال النهار، ويراه في أحلامه أثناء نومه. وباختصار فإنه يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ويتنفس بنفسه!! ولذا فإن روحه لا تنفك ممتزجة بروح شيخه، ولا يتصور وجود عيب فيه، كما لا يطيق الاستماع إلى من ينتقده أو ينتقص من قدره.

وأحمد الله أني كنت قد ولجت هذا العلم الصوفي وأنا أحمل في نفسي هم التوبة وتزكية النفس، ثم تنسم عبير المعرفة الصوفية، فكانت المغامرة وكانت الرحلة. لكن لما هدأ بحر النفس، ولم تعد أمواج الذوق الصوفي متلاطمة، وانجلت سحائب (الإشراقات)، وغاب صدى الموسيقى والألحان الغريبة عن الصدر والقلب والدماغ، توقدت بإذن الله عين النقد من جديد وصحوت بعد سكر، فتكسرت القيود، وعادت الإرادة إلى مجراها الطبيعي؛ حيث العبودية ونهج المصطفى الكريم صلوات الله عليه وسلامه.

الهوامش

[١] هذا الحديث موضوع، انظر موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (١٧٦/٩) مكتبة المعارف الرياض (١٤).

[٢] محمود عبد الرؤوف القاسم "الكشف عن حقيقة الصوفية" المكتبة الإسلامية، عمان، (ص:٣٣٤-٣٣٥).

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

الشيخ محمود المراكبي في حوار خاص بمجلة الصوفية

المحتفلون بالمولد النبوي يوم (١٢) ربيع الأول إنما يحتفلون بوفاته.. وهذا هو الدليل!!

حاورة من القاهرة/ محمد عبدالعزيز

- الصوفية وافقوا النصارى وزادوا عليهم باعتراف شيخهم الجيلي..
- فكر ابن عربي مازال قائماً في أوراد الطرق الصوفية.
- المفاجأة عندما فتح الضريح لم يجدوا فيه أحد !!
- لا يحسن نقد الصوفية مثل من عاش في وسطهم ثم هداه الله للحق كالشيخ الوكيل.

الصوفية كيف ترى الفرق بين صوفية الماضي وصوفية الحاضر؟ وأيهما اخطر؟

- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..

فحين بدأ التصوف في القرن الثالث الهجري، لم يكن التصوف في ذلك الوقت أكثر من الزهد في الدنيا والإقبال على الله والتزود من الطاعات والإكثار من النوافل بغرض تهذيب النفس والتخفف من الشهوات.

ولكن سرعان ما دخلت فيه التيارات الفلسفية والفكرية فظهر أبو سعيد الخراز وظهرت فكرة الفناء والبقاء، ثم بدأت فكرة الفناء تأخذ أبعاداً جديدة، فبدلا من أن تعني فناء الصفات البشرية بصفات طيبة من صفات الكمال والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى دخلت المسألة في انصراف صفات البشر إلى حلول صفات الحق تبارك وتعالى فدخل فيها نوع من أنواع الحلول ولكن حلول في الصفات إلى أن وصل إلى الحلاج والبسطامي حيث بدأت المسألة تأخذ بُعد الفلسفة الاتحادية والحلولية المعروفة عند الإغريق والهند وغيرهما من الثقافات.

وزادت المسألة بعد ذلك بمجيء محي الدين بن عربي وظهور مسألة الإنسان الكامل التي أخرجت الفكر الصوفي من دائرة الإسلام، وإذا تتبعت كلام محي الدين بن عربي وكلام ابن سبعين وكلام ابن الفارض تجد أنك أمام رسالة أخرى لم يأت بها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم جاء بعد ذلك جماعة من الجهلة، بعيدين عن الفهم والعلم والتعلم فأخذوا مفردات كلمات محي الدين بن عربي ووضعوها في الأوراد الخاصة بهم ونقلوها للمريدين الموجودين حاليًا، وهم مجموعة من الجهلة الذين لا يفهمون ما يرددون، فأصبحت المسألة مسألة صورية لا فكر موجود فيها ولا وراءها علم ولا وراءها شيء سوى تقليد واتباع أسلافهم على جهل، والمصالح والمكاسب هي التي تحركهم الآن.

الصوفية هل يشكلون اليوم امتداداً أم مزيد انحراف ؟

- أنا كنت في طريق صوفي ومكثت في هذا الطريق (١٤) سنة إلى أن وصلت إلى شيخ طريقة، ولم أجد أحدًا يسعى ليُفهم مريديه عقيدة وحدة الوجود ولكن أحيانًا قد يعطيك مجرد إشارة لهذه العقيدة أثناء الحضرة، و في يوم من الأيام بعد ما أكرمني وهداني رب العالمين إلى طريق الكتاب والسنة، ذهبت لشيخ من مشايخ الطريقة، وكان مستشاراً في مجلس الدولة، يعني رجل مثقف ثقافة عالية جدًا وحاصل على دكتوراه في القانون، فسألته سؤالاً محدداً: "يا شيخنا! وحدة الوجود ماذا تقول فيها ؟" فقال لي إجابة ملخصها في كلمتين: " هي حق في ذاتها خطأ في الحديث عنها".

مما أكد أن غالب الأتباع والمريدين ومن يذهبون إلى الموالد لا يفهمون شيئاً عن عقيدة الصوفية الخاصة بالحلول والاتحاد.

الصوفية أيهما أخطر صوفية الماضي أم صوفية الحاضر ؟

- لا شك أن الصوفية خطر عظيم جدًا، وكانت خطراً متضخماً جدًا في وقت محي

الدين بن عربي، وقد مر بي كثيرا تحذير العلماء المعاصرين له من فكره، فقد كان العلماء حينما يكتب الواحد منهم أو يؤلف، تجده يعرج ليحذر من ابن عربي وأمثاله ومن أفكارهم.

لكن الوضع الآن أخطر ؟ لأن الفكر الشيعي تسرب بكل جزئياته في الفكر الصوفي لجهل الصوفية والقائمين عليها، فقد كان الصوفية منتبهين لقضية الإمامة، وكانوا مثل السنة يرون صحة ترتيب الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أما صوفية اليوم فيعتقد قطاع عريض منهم اعتقاد الشيعة في الصحابة، فنحن الآن نواجه قوما اسمهم الصوفية تشيع أغلبهم في الباطن.

الصوفية رغم أن الصوفية تصطدم مع العلم والواقع، نجد أن بعض المثقفين ومن ينسب إلى العلم منهم من يعتنق التصوف ويدافع عنه، فما سبب ذلك؟

- الحقيقة هذه ملحوظة مهمة جدًا، لكن لو وسعنا النظرة سنجد أن هذه قضية

مشتركة في كل الأفكار، فهناك علماء في الهند لهم وزن راسخ إذا مرت بقرة في الشارع أفسح لها الطريق؛ لأنه يعبدها ولأنها الصورة المثلى عنده للإله.

ومسألة العلم النظري لا علاقة لها بالمعتقد، ولا نقدر أن تقول: ما دام عالم ذرة لابد تكون عقيدة صحيحة، فهذه إجابة عامة شاملة.

ولكن نقول: إن المشكلة في مصر جاءت بسبب ضعف التعليم الإسلامي، فجيلنا لم يدرس الإسلام إلا في حصة الدين، ودخلنا الجامعة ولم نسمع كلمة واحدة عن أي علم من العلوم الإسلامية، وتخرجنا لا نعرف شيئًا عن ديننا وانشغلنا في أعمالنا، فعندما يرغب الإنسان في الوصول إلى الله تعالى يصعب عليه التعلم بعد هذا العمر، فيأتي إليه من يقول له: الأمر سهل، اجلس مع الشيخ فلان فهو رجل طيب، اقعد معه، سيقول لك: استغفر ربنا وصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول: لا إله إلا الله ثلاثمائة مرة ولا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة ستدخل الجنة وتصبح طائراً مع العارفين، فيمشي وراء الشيخ ولا يستطيع أن يزن كلام الشيخ هل هو صحيح أم خاطيء؛ لأنه يفتقد العلم، فاللوم ليس على المثقفين اللوم على من تركهم يصبحون مثقفين دون أن يعرفوا دينهم.

الصوفية: هل هناك تيارات صوفية على الساحة سليمة المعتقد أو قريبة من سلامة المعتقد معتدلة المنهج، من الممكن في رأيك التعاون معها والاتصال بها واستثمارها في محاربة شركيات التيارات الصوفية الأخرى؟

- قد كان لي تجربة في ذلك، فعندما تركت الطريقة الخلوتية كان لي صديق من الطريقة التيجانية قال لي: يا أخي أنت كنت تسير في طريق ووجدت الطريق غير صحيح فانظر في طريقتنا وشيخنا الحافظ التيجاني المحدث وليس عندنا خطأ.

قلت له: إذن أعطني الأوراد أطلع عليها وأرى، وحين قرأتها قلت: الحمد لله، قد كنت في طريق هي أهون شراً مما هم فيه، فشيخهم يدعي لنفسه أنه يمد الخلائق بأنوار الله سبحانه وتعالى من الأزل إلى الأبد بما فيهم الأنبياء، وكان هذا دافعاً لأن أدرس أوراد الطرق وبالفعل درست أوراد عشرين طريقة، فوجدت فيها نفس ما عبته على الطريقة التي كنت أسير عليها وليس هناك فرق بينهم.

الصوفية: لماذا سميت الحضرة بالحضرة؟

- أجاب عن ذلك الدباغ في كتابه الإبريز: أن آدم عليه السلام لما كان في الملأ الأعلى كان يسمع ذكر وتسبيح الملائكة، فلما أنزل إلى الأرض استوحش، فبدأت الملائكة تستأذن الله أن تنزل على آدم لتقيم عنده الحضرة، وعندما يكبر واحد من أبناء وأحفاد آدم عليه السلام يحل محل واحد من الملائكة إلى أن كونت الحضرة من البشر بعد أن كانت من الملائكة، وفيها تحضر الذات الإلهية.

الصوفية: ولماذا يذكرون الله بلفظ هو الغائب، وهم يعتقدون حضور الذات؟

هم يذكرونه بهو، ويرون أن هذا الذكر هو ذكر الخليلية، لإن إبراهيم كان يذكر به كما يدعون ودليلهم قول الله تعالى: ((إن إبراهيم لحليم أواه منيب)).

الصوفية: هل يمكن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة، أو ما يسميه الصوفية عالم المثال بين الحقيقة والخيال؟

ابن عربي حين تقرأ كلامه تجده قال إن المهدي دخل السرداب وسيخرج آخر الزمان، وقال في الفتوحات المكية ما تقول به الشيعة: إن المهدي حين يظهر آخر الزمان لن يعمل إلا بقتل العرب وسفك دمائهم.

- هذه المسألة من أعظم المهالك لدى الطرق الصوفية، إذ كنت أجد من هو على باطل يقول لي: أنا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو أمرني بكذا، وقد يكون صادقاً فيما توهم لا فيما رأى، لأن الشيطان يوهمه بذلك، وقد توصلت بعد طول بحث إلى أن المعيار في صدق الرؤيا أن يكون النبي على صفاته المعروفة عنه.

أما من ادعى أنه رأى النبي في اليقظة فقد كذب على الله ورسوله، إذ لا يمكن أن يحدث ذلك.

الصوفية: يرى كثير من الباحثين أن العلاقة بين التصوف والتشيع وطيدة من الناحية الفكرية، فهل ترى أن هذه العلاقة ممتدة بين الصوفية والشيعة على المستوى السياسي والتنظيمي؟

- نعم.. الصلة بين التصوف والتشيع تكلم فيها كثير من الباحثين وأثبتوها، وأنا في كتبي تناولت الشيعة والصوفية ووجدت أن جذور الصوفية تنهل من مناهل الشيعة؛ لأن المحور الأساسي الذي جمع بين التصوف والتشيع واحد وهو شخصية علي بن أبي طالب؛ الشيعة يؤمنون بأن علي المعين من الله سبحانه وتعالى بنص إلهي والأئمة نسلهم من بعده، هذا عند الشيعة.

أما الصوفية فهم يعتبرون أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إمام علم الباطن وهو الأقرب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك تجد كثيراً من الصوفية مع الوقت حبهم لأبي بكر وعمر يضعف في قلوبهم وتجد حديثه عنهم يقل ويكثر جدًا عن سيدنا علي.

وبعد ذلك يرفع مقام الحسن والحسين بنفس القدر والأئمة من بعده وهم استبدلوا كلمة الأئمة بالأقطاب، وقد غيروا الاسم ليعيشوا بين أهل السنة دون مشاكل فسموهم الأقطاب.

الصوفية: قد قلتَ من قبل: إن الصوفية هم طابور خامس للشيعة في ديار السنة أو هم مشروع لطابور خامس فهل يمكن أن نضع الصوفية كلهم في سلة واحدة؟

- بالطبع لا.. ولكن هناك بعض الطرق كالطريقة العزمية مثلاً كل كتاباتها وكل أورادها وكل كلامها واضح جدًا منها أنها أقرب الطرق إلى الشيعة وليس إلى السنة.

وهناك طرق انتبهت للقضية وحاولت أن تصلح، لكن ليس عندي إحصاء دقيق لكن على أية حال ينبغي أن نحذر الصوفية من هذه القضية.

الصوفية: هل ترى أن فكر ابن عربي وأمثاله ومن تأثر بالفكر اليوناني يلقى رواجًا بين الصوفية؟

- نظرًا للجهل الموجود لا يوجد أحد يعرف ماذا قال ابن عربي إلا قلة قليلة جدًا من الصوفية فاللقاء ما بين الشيخ الكبير في الطريقة وبين الخلفاء محتوى، يختلف بلا شك عن محتوى اللقاء بين الخلفاء والمريدين، فالخلفاء والمريدون لا أحد منهم يتكلم عن ابن عربي وفكر ابن عربي، ولا أحد يحسن أن يقرأ له أصلاً.

الصوفية: هناك بعض الباحثين اليوم - من الشيعة - أثبتوا أن ابن عربي كان شيعياً؟

- ابن عربي حين تقرأ كلامه تجده قال: إن المهدي دخل السرداب وسيخرج آخر الزمان وقال في الفتوحات المكية ما تقول به الشيعة: إن المهدي حين يظهر آخر الزمان لن يعمل إلا بقتل العرب وسفك دمائهم.

الصوفية: نريدكم أن تحدثونا عن العناصر

التي تقوم عليها فكرة التصوف، كمحورية الشيخ، ومحورية القبر، ومحورية الأوراد، هذه كلها محاور تكاد تنتظم عليها الطرق الصوفية، نريد أن نفهم ما الصلة بين القبر والصوفية، هل هناك تلازم بين هذه المحاور وبين التصوف ؟

- الفكر الصوفي يقوم على محور أساسي وهو محور الشيخ، وكل الطرق - تقريباً- لا تزكي الشيخ ولا تعظم أمر الشيخ بكلام صريح من الشيخ، فالشيخ لا يقول لهم: أنا قطب الوقت، ولكن تجد الشيخ يكلمك عن شيخه الذي مات ويتكلم عن شيخه ويعظم في شأن شيخه تعظيما ضخماً جدًا، حتى يرسخ في ذهن المريد أنه لابد أن تعظم شيخك مثلما يعظم شيخه، فتنتقل وترث آداب التعلم مع الشيخ بنفس الشكل.

كذلك يقال لك في وسط الكلام: إن الشيخ هو الباب الموصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولابد أن يكون بينك وبين الشيخ رابطة، ويقال لك: إنك إن ذكرت الله سبحانه وتعالى فإنك ستقعد في بيتك تطيب المكان وكذا وتطفئ النور وتقعد تذكر الله بمفردك وتستحضر شيخك كأنك تجلس أمام شيخك، ولما تستحضر شيخك تنتقل لمرحلة أعلى حتى تستحضر الله جل جلاله.

الصوفية: قضية محورية القبر.

❖ القبر عند الصوفية لا يسكنه ميت، لأن من وصل إلى مقام القطبانية عندهم فهو يتصرف في الكون ويحضر ديوان التصريف.. التي تعرف بالحكومة الباطنية للكون، والله تعالى لا ينظر في الكون كله إلا إلى قطب الوقت الذي يعرف بالقطب الفرد الغوث الجامع، وهي كما ترى هرطقات ماأنزل الله بها من سلطان.

وهذا القطب يتلقى عن الله سبحانه ويتعامل مع الله، وله قطب (وزير يمين) يتصرف في الملكوت(الملأ الأعلى)، وآخر على اليسار يتصرف في المُلك، وتحت القطب أربعة أوتاد، وتحت الأوتاد أبدال وتحت الأبدال نقباء.

الصوفية: بينما قامت فكرة التصوف على الزهد نجد حياة مشايخهم حياة ترف، فكيف يُبرر ذلك للمريدين؟

- الزهد كان في الماضي، ولا يوجد الآن أحد يدعو مريديه للزهد في الدنيا.

الصوفية: بل هناك من يدعو لذلك كالجفري مثلاً يتحدث عن التربية في المزابل، من أجل أن يصل الإنسان لابد أن يعذب نفسه ويزهد فيجلس مثلاً في حجرة مظلمة لفترة طويلة.

هؤلاء هم من يقومون برياضات روحية مثل البوذية، وكل طريقة تنتخب مجموعة منها لعمل ذلك، وغرضهم في ذلك تعلم السحر، ففي طريقتي السابقة شيخ دخل الخلوة لمدة (٣٠) يوماً وجلس بمفرده، هذا الرجل كانوا يرسلونه فيما بعد لاستخراج الجن وإبطال السحر، ويعتبر ذلك مدخلاً لاكتساب مريدين جدد للطريقة عن طريق التأثير على الناس، ويجعل الناس يقولون: إذا كان تلميذ الشيخ يخرج الجن وله هذه القدرة فما بال شيخ الطريقة؟!

فهذه الرياضة الروحية غير مطلوبة من المريدين، ولي في هذا الأمر حادثة سابقة، فقد جاءني أحد كبار شيوخ الطريقة ويدعى الشيخ لطفي وكان كبيراً في السن يصل عمره إلى (٨٠) عامًا، وقال لي إنه مكلف من

> **القطب في الفكر الصوفي يتلقى عن الله سبحانه ويتعامل مع الله، وله قطب (وزير يمين) يتصرف في الملكوت(الملأ الأعلى)، وآخر على اليسار يتصرف في المُلك، وتحت القطب أربعة أوتاد، وتحت الأوتاد أبدال وتحت الأبدال نقباء.!!**

الشيخ الكبير ليعلمني كيف أتعامل مع الجن وأحرقه، ولكني رفضت قائلا له: أنا لست خالصًا من أعدائي من الإنس وليس بي حاجة لأعداء من الجن.

الصوفية: لك في الطريقة الخلوتية تجربة ثرية فما الذي استفدته من هذه الفترة والتي استمرت لمدة (١٤) عامًا؟ وما الأسباب التي دعتك لترك الطريقة والسير على نهج أهل السنة والجماعة؟

كل ميسر لما خلق له، فهذه التجربة في البداية نقلتني من مسلم عادي لمسلم يهتم بالقرآن والأوراد والذكر.

وبعد فترة قصيرة تم اختياري لتولي شيخ الطريقة بالقاهرة، ولقد استفدت من التصوف القراءة في كتب الرقائق التي كتبها علماء من الصوفية قدماء ليس عندهم انحراف فكري، وبدأت الاهتمام بالصلوات والذكر والقرآن والطهارة الدائمة، ولم أكن أعلم أن في هذه الطريقة انحرافاً، فما أمرني به شيخ الطريقة في البداية لم يتعد هذا الأمر.

أما عن هدايتي للحق فكانت في البداية بسبب تصرفات بعض المشايخ، فعندما كنت أقرأ في كتب الصوفية الأوائل أجدها قوية في السلوك إلى الله، أما الأفراد فأجدهم في هذا العصر أبعد ما يكونون عن هذه الكتب.

كذلك وجدت هناك صراعا بين مشايخ الطرق على المريدين، فالتطبيق الفعلي للتصوف كان مختلفا.

الصوفية: لكن ما هي النقطة الفاصلة التي أعادتك للحق؟

- النقطة الفاصلة هي أنني وجدت أن الورد الذي أردده يخالف الحديث الشريف، فقد كنت أقرأ في الورد " اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذي شاهد ربه بعيني رأسه وطاب وما غاب"، إلى أن قرأت حديثًا في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: "ثلاث من قال بهن فقد أعظم على الله الفرية، (منها) من قال: إن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وبعد ذلك عقبت بآيتين محكمتين من القرآن تؤكدان أنه لم ير ربه.

فتوقفت وبدأت أعالج الأمر من أوله، ودخلت في دراسات، ومكثت في قضية الرؤية سنة كاملة إلى أن وصلت إلى إجابة شافية أنه لم ير ربه.

وبعدها بدأت أنظر في كل الأوراد - وبفضل الله - منذ أول ما كلفوني بمشيخة القاهرة - أخذت على نفسي عهدًا أن لا أتحدث إلا فيما أعرفه، على الرغم من أن الشيخ عندهم مفتوح عليه، أي إذا سئل لابد أن تأتي إليه الإجابة في قلبه.

وخلال عشر سنوات كنت فيها شيخ طريقة لم أجب إجابة واحدة بعيدة عن الكتاب والسنة، وكان كبار المريدين الموجودين معي والذين تربوا على يد شيخي وشيخ شيخي يأتون إلي بعد انتهاء الحضرة ويقولون: سمعنا شيخنا الكبير في سنة كذا أجاب إجابة مخالفة تمامًا لإجابتك، لكن كلامك أنت مريح جدًا ودخل القلب ومقتنعون به.

الصوفية: بعد عودتك للحق هل عاد معك للحق أحد من المريدين؟

- نعم ولله الحمد عاد معي عدد لابأس به من المريدين، وكنت قد قلت لهم في آخر حضرة لي معهم: أنا كنت على خطأ وكنت آمركم بأوراد، وهي فيها أخطاء كذا وكذا، وأنا أعتذر عنها إلى الله، ولنحول الحضرة إلى مجلس لتعليم القرآن الكريم، وبالفعل تحولت الحضرة إلى مقرأة.

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

الصوفية: استثار ما كتبته من كتب عن الصوفية بعض الصحف والمجلات الطرقية فقاموا بالرد عليك وهاجموك، ومن هذه المجلات مجلة الإسلام وطن، فما سبب ذلك الهجوم؟ وما تقييمك لهذه الردود؟

صراحة من ألف في الصوفية واحد من اثنين إما محب لها فهو معها على طول الطريق، أو منتقد لها دون أن يكون قد مارسها، وقليل من عاش التجربة وعلم خباياها وتحدث عنها.

وكان من أفضل الكتب في هذا الباب كتاب عبد الرحمن الوكيل رحمه الله، فقد مر بهذه التجربة لكن كتابه كان مختصرًا جدًا ولم يتعرض لكل القضايا.

فلما كتبت في التصوف وصلت للموضوع من أساسه، فكانت كتاباتي في الصميم وانتشرت الكتب مما جعلهم يسعون للرد علي، فلما تحدثوا ظهر عوار ردهم، إذ لم يستطيعوا الرد علي فيما طرحته، وردهم لا يستحق أن أرد عليه.

ولقد كتبت هذه الكتابات لأتبرأ إلى الله مما كنت عليه سابقًا وقلت: هناك أناس أخذوا عني سابقًا ولا أستطيع أن أصل إليهم، ولعل هذه الكتب تصل إليهم.

والحمد لله بعد أن هاجمني أحدهم في مجلة الإسلام وطن خلال ١٧ عدد أي خلال سنة وربع تراجع بفضل الله عما قال وتبرأ مما كان عليه وأنزل هذه البراءة بمجلة أنصار السنة (التوحيد).

الصوفية: لقد اقتربنا من المولد النبوي فماذا يمثل المولد النبوي لمشايخ الطرق الصوفية؟وهل فكرة المولد لها ارتباط بعقائد باطنية عند الصوفية؟

أول من أنشأ المولد الدولة الفاطمية وهم كذبة وفاسدون، وينسبون أنفسهم للسيدة فاطمة الزهراء عليها رضوان الله وهم غير منتسبين للسيدة، وقاموا بعمل هذه الموالد ليحببوا العامة فيهم، ففي الموالد تقام الموائد التي يقيمها الأغنياء للعامة.

كما أن الصوفية إذا كانوا يهتمون بموالد المشايخ فكيف لايقيمون مولدًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

ويعتبر الاحتفال بالمولد النبوي عندهم مثل الاحتفال بعيد الأضحى والفطر.

والموالد عند الصوفية تمتلىء بالكثير من الأوهام مثل ادعائهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يسير على سور مسجد الحسين في الليلة الختامية من مولد الحسين، لكن الكارثة حقا..الكارثة..

الصوفية: ما الكارثة؟؟!

الكارثة في الاحتفال بالمولد أن النبي صلى الله عليه وسلم ثابت أنه مات يقينًا في ١٢ ربيع الأول وهناك شك في يوم مولده، هل هو يوم ١٢ ربيع الأول أم غيره، ولكن إذا حققنا المسألة فلكيا سنجد أنه ولد يوم ٩ من ربيع الأول، لأنه من المستحيل فلكيًا أن يأتي يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول وبعد ٦٣ سنة يأتي الإثنين يوم ١٢ ربيع الأول.

فأصبح احتفالهم على الحقيقة احتفال بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه هي المصيبة والكارثة التي أعنيها.

ففكرة الاحتفال بما يسمى المولد النبوي فكرة باطنية من أعداء الإسلام للاحتفال بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن وراء الاحتفال بالمولد النبوي إذن!! لا يمكن أن يكون مسلمًا عاقلا لسبب بسيط؛ أنه إذا كان هناك يوم ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي أيضًا فيه فماذا نفعل في هذا اليوم أنسعد بمولده أم نحزن على فراقه؟

لا شك أن الحزن أولى بدلاً من الرقص والطبل وشرب المخدرات والمنكرات التي تحدث بالمولد، ولكن إذا علمنا أنه اليوم الذي مات فيه على التحقيق ويستحيل فلكياً أن يكون هو اليوم الذي ولد فيه فيكون احتفالهم فرحا بموته.

> **قلت لمريدي: أنا كنت على خطأ وكنت آمركم بأوراد، وهي منها أخطاء كذا وكذا وأنا أعتذر عنها إلى الله، ولنحول الحضرة إلى مجلس لتعليم القرآن الكريم، وبالفعل تحولت الحضرة إلى مقرأة.**

الصوفية: مفهوم البدعة وارتباطه بالمولد، فبعض العلماء يرى أنها بدعة حسنة، فما رأيكم؟

أولاً: لا يمكن أن تكون بدعة حسنة، لأنها مرتبطة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وليس مولده.

ثانيًا: لا يوجد مناسبة زمنية احتفل بها النبي صلى الله عليه وسلم.

الصوفية: يرى البعض أن التيار السني حقق العديد من الانتصارات على المعتقد الصوفي في الآونة الأخيرة وأن التيار الصوفي يحتضر الآن في مصر ولا يجد له أنصارًا وأن الصوفية تحيا فقط بين أبناء الحرس القديم.
في حين على الجانب الآخر يرى البعض أن التيار الصوفي يجدد شبابه ويستعيد عافيته في الفترة الأخيرة على يد بعض الشخصيات الدينية الرسمية بمصر.
فأي الرأيين تؤيد ؟ وعلى ماذا تستند في هذا التأييد؟

- هناك فعلاً رأيان، فبعض العلماء يقولون لي: الصوفية تنحسر ونحن نرى ذلك بأعيننا، وبالفعل كان في قريتي ١٠ موالد والآن لايقام منها إلا واحد.

لكن تأتي لي بعض الأخبار التي تدل على أنه مازال هناك من يبقى على معتقده ويدافع عنه فقد جاءني اتصال من محافظة المنيا يذكر أن هناك من أراد أن يقيم مسجد على ضريح وتطلب ذلك إزالة الضريح ثم وضعه، وكانت المفاجأة عند فتح الضريح أنه لايوجد به أحد، وعلى الرغم من ذلك أصر بعض أهل القرية على بناء الضريح الخالي مرة أخرى وأخذوا على ذلك موافقة السلطات الأمنية والدينية، وذلك رغم أنف تيار آخر من أبناء القرية كان يرفض وضع الضريح الخالي، وقد اقترحت عليهم اقتراح فكاهي وهو إذا كانوا قد غلبوا على أمرهم وبُني الضريح مرة أخرى فليسموا الضريح تسمية تفضحه دائما، فقلت لهم: فلتسموه ضريح سيدي "المزوغ" أو سيدي "الهربان".

الصوفية: كلامك هذا يدل على أنها على المستوى الشعبي انحسرت لأسباب عدة، أما على المستوى الرسمي فالصوفية يحققون مكاسب.

المستوى الشعبي هو الأساس، وأما الكراسي والمناصب فهي زائلة.

نفس الأمر في مسجد عز الدين أبو العزايم بايتاي البارود رفض الجميع هناك أن يقبر الرجل في المسجد حيث أن القانون ينص على ذلك وكذلك النظم واللوائح المعمول بها في إدارة المحليات،لكن تم الدفن في المسجد وأتوا بفتوى مناقضة للفتاوى وبضغط السلطات فرض الأمر.

الصوفية: يرى البعض أن هناك تشابه قوي بين عقائد الصوفية والنصارى فما رأيكم؟

- أرى أن الصوفية هي التي أطرت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجعلته كعيسى ابن مريم عند النصارى، وقد قال عبد الكريم الجيلي في كتابه:" الإنسان الكامل" أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الحقيقة المحمدية التى خلق الله منها كل الموجودات، ثم قال: واعلم أن أقرب الناس لعقيدتنا نحن المحمديين هم النصارى إلا أنهم حصروا صورة المعبود في ثلاثة(الآب والابن والروح القدس)ولو أنصفوا لأطلقوها في الكون!!

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

ظاهرة الشطحات.. إبراهيم الدسوقي - أنموذجاً -

أكرم مبارك عصبان
Osban akm@hotmail.com

ينبغي علينا أن لا نكون في الشاطحين فئتين؛ لاعتقاداتهم المردية الكاسدة، وخيالاتهم الردية الفاسدة التي يطلقون عليه شطحات، ويسمونها حقائق بغير اسمها وما هي إلا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وحقيق بمن ينتسب للتصوف ظناً أنه رديف الزهد على ما فيه من الشوائب العملية أن ينضم إلى فئتنا، بل ويطيل البكاء على قواعد طريقته حين قامت على مثل هذه العقائد الزائغة كما ناح الأخضري قائلا:

يا حسرتا على الطريق المستقيم
قد ادعاه كل أفاك أثيم
قد أشرفوا على كهوف الكفر
وستروا بدعتهم بالفقر
واتخذوا مشايخا جهالا
لم يعرفوا الحراما والحلالا

ولا يخفى على كل أحد وضوح العقيدة الصافية وبساطتها في ملامسة الفطرة ومخاطبة العقل قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

ظاهرة الشطح:

تمثل ظاهرة الشطح لدى الصوفية المرحلة النهائية لمن وصل دائرة الفناء والوحدة، وهي نهاية المطاف في الترهات التي تبتعد بصاحبها عن الدين القيم، ونحن معنيون هنا بتحليل هذه الظاهرة في إطار الفكر نفسه ثم نورده عليها من الأدلة ما تزهق غير مأسوف عليها، فهي مرحلة بالغة الخطورة، وتكمن هذه الخطورة في الكلمات التي يتفوه بها الصوفي لبيان حالته، ويقوم بكشف السر الذي توصل إليه كما يزعمون وما ثم إلا أوهام فلسفية، وكان قد هرع إلى الداعي ولبى نداه، وألقى كل شيء ودخل دائرة المجاهدة من طعام وشراب ونوم وراحة وأهل كي

تمثل ظاهرة الشطح لدى الصوفية المرحلة النهائية لمن وصل دائرة الفناء والوحدة، وهي نهاية المطاف في الترهات التي تبتعد بصاحبها عن الدين القيم

يخفف رحله (والزاد حتى نعله ألقاها)، ولما وصل وذاق ما ذاق، غلبه المقام في إذاعة الأسرار، وصار بين نارين: الأولى هي كتم هذا السر الذي فاض في جوانحه بعد إجابة الداعي في ذلك - ورد الدعوة كفر - وفي كتمه تلف النفس وهلاكها، والثانية: التعبير عن الحال بما يفيضه المقام وتصوير النشوة البالغة، وفي تصويره هلاك للسامعين من ناحية لأن ظاهره كفر، وهلاك له ذاته في الحكم بموته، فما هو صانع في فنائه ؟

الاتجاه الصوفي يمضي نحو الوصول إلى الفناء ورؤية السر لا يلوي على غيره مهما كانت النتائج، فهو إذا يرجح اختياره الثاني ويتحمل ما ينتج عليه وفيه، وبقي كيفية التعاطي معها في شأن من يدعونهم بالقاصرين - مع كونها حق في ذاتها عندهم - وإنما مراعاة لقصورهم، فبرز التأويل لبعضها كخروج من صعوبة هضمها.

مثال من طبقات الشعراني:

من هذه الشطحات يأتي ما نقله الشعراني عن إبراهيم الدسوقي من بعض قوله:

تجلى لي المحبوب في كل وجهة
فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري
فقال أتدري من أنا؟ قلت منيتي
فأنت مناي بل أنا أنت دائما
إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
فقال كذاك الأمر لكنه إذا
تعينت الأشياء كنت كنسختي
فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته
بغير حلول بل بتحقيق نسبتي!!
أنا ذلك القطب المبارك أمره
فإن مدار الكل من حول ذروتي
وبي قامت الأنباء في كل أمة
بمختلف الآراء والكل أمتي
ولا جامع إلا ولي فيه منبر
وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها
وإن سواها لا يلم بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة
أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب
وعلوى وسلمى بعدها وبثينة

عبارات أسماء بغير حقيقة

وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي

نعم نشأتي في الحب من قبل آدم

وسري سرى في الكون من قبل نشأتي

أنا كنت في العلياء من نور أحمد

على الدرة البيضاء في خلويتي

أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه

بلطف عنايات وعين حقيقتي

أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا

وأعطيت داودا حلاوة نغمتي

أنا كنت مع نوح بما شهد الورى

بحارا وطوفانا على كف قدرة

نقد هذه الشطحات:

هذه القطعة من الشعر التي تمثل أعلى ما تمثله ظاهرة الشطحات تعتبر التعبير الصادق لهذه الظاهرة، والحقيقة أنها لم تعد رمزاً بالإشارة كما قيل بل هي بيان في العبارة، وهي تحمل الكفر في طياتها الذي هو ظاهر السر المكشوف، وتجسد الضلالات مجتمعة في أبيات، نقف عندها قدر ما تفصح به من مكنونات وكفريات تحت ما يسمى بالوحدة التي سعى نحوها الضالون وتلبسوا بلباس الزهد وتظهر هذه الوحدة في مظاهر منها:

- أولاً: تجلي المحبوب على ما يحلو التعبير به - ولا يسلم لهم فيه - وظهوره على هيئة نور يتراءونه هي مجرد دعوى عارية عن الصحة، والمخاطبات الدعية لا تصح أيضاً لأنه قد يختلط عليهم الأمر، ويكون من حيلة إبليس، خاصة مع الابتعاد عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهرت بعض هذه الأنوار على الشيخ عبر القادر الجيلاني فكاد يركن إليها لولا أن ثبته الله وندعه يحدثنا عن حادثة حصلت له حيث يقول: تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني: يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات . فقلت: اخسأ يا لعين. فإذا ذلك النور ظلمة وتلك الصورة دخان. ثم خاطبني: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت : لله الفضل.

وكان أبو ميسرة المالكي ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فإذا المحراب قد انشق، وخرج منه نور عظيم، ثم بدا له وجه القمر وقال له: تملى من وجهي يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى، فبصق في وجهه وقال: اذهب يا لعين عليك لعنة الله.

وإذا بدا إبليس لهذين الشيخين مع علمهما

الاتجاه الصوفي يمضي نحو الوصول إلى الفناء ورؤية السر لا يلوي على غيره مهما كانت النتائج..

فمن يأمن المنحرفين الذين قاطعوا طريق العلم والسنة بعدهما ؟

- ثانياً: قوله(أنا أنت) صريح في الوحدة وأنه عين الحقيقة، وهي الراية التي حمل لواءها ابن عربي ونظمها ابن الفارض في تائيته، وتبلورت لدى كثير من المتأخرين، وتعد الغاية عندهم من سلوك الطريق، وها هي كشفت لنا عن وجهها القبيح، وقد يطلق على الوحدة الاتحاد ولكنه ليس قرين الحلول وإنما عنوا به الوحدة أيضا لأنهم ينفرون من الاثنينية بل هي كفر في مذهبهم المنحرف، فلينتبه هنا لقوله: (فأوصلت ذاتي باتحاد بذاته)فيتوهم القارئ أنه ناقض نفسه.

- ثالثاً: إذا تعينت الأشياء صار آدم عندهم كنسخة الذات، وكان عين جلاء المرآة المعبر عنه الإنسان الكبير، وما هو إلا عين جمعه بين صورة العالم وصورة الحق، فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل كما قرره ابن عربي في فصوصه.

- رابعاً: القطب المراد منه القطب الواحد الذي يزعمون أنه موضع نظر الله في الأرض في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه! وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد !! ويعبرون عنه بالقطب القديم والروح المصطفوي أو الحقيقة المحمدية وهو ما عناه ابن الفارض بقوله:

فبي دارت الأفلاك فاعجب لقطبها

المحيط بها والقطب مركز نقطتي

وليس المراد القطب الحادث الذي يترأس الديوان الصوفي، ويقع في أعلى الهرم الذي يدير شؤون العالم، ولا بارك الله في هذه العقائد المردية.

- خامساً: وحدة الاعتقادات والأديان التي عبر عنها الدسوقي من طرف خفي، بمختلف الآراء التي قامت به لأنه جسد الوحدة حال أن الكل أمته، وكل الجوامع والملل والشرائع على اختلاف مذاهبها له فيها منبر، وهو مشرب وحدة الأديان إذ ليس في الوجود متناقضات عندهم ولا أضداد، فالوجود كله حقيقة واحدة، ومن جمع ما تفرق في الوجود تيقن أن كل شيء هو عين الذات، فما ثم إلا حقيقة واحدة، فيرضى بكل معتقد ورأي وأنه حق، فالآلهة المعبودة في حقيقتها عين الذات، والله تعالى أوسع من أن يحصره عقد دون عقد على حد تعبير ابن عربي، ولا شك أن معاني كهذه سيروج لها الأعداء وتنفق عندهم وقد عبر عنها ابن الفارض بقوله:

وإن خر للأحجار في البيد عاكف

فلا تعد بالإنكار بالعصبية

وإن عبد النار المجوس وما انطفت

كما جاء في الأخبار مذ ألف حجة

فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم

سواي وإن لم يعقدوا عقد نية

- سادساً: الافتراء بأن ذاته لم تشهد غير الذات التي اتحد بها، ويراها في حلة بعد أخرى ومنه - عياذا بالله - صورة العاشقات كليلى وهند وسلمى وبثينة فيزعم أنها الذات تجلت في صور ليلى وبثينة وعزة وهي عبارة عن أسماء تلوح لمقصد واحد هي صورة الذات، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً. ويفصل هذا الكلام السخيف والكفر الواضح ابن الفارض:

فكل مليح حسنه من جمالها

معار له أو حسن كل مليحة

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق

كمجنون ليلى أو كثيّر عزة

فكل صبا منهم إلى وصف لبسها

لصورة حسن لاح في حسن صورة

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر

فظنوا سواها وهي فيها تجلت

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر

على صبغ التلوين في كل برزة

- سابعاً: وصف النور المحمدي وانتقاله من زمان إلى آخر وأنه الذي ظهر بصورة آدم ونوح وإبراهيم يعد اقتباساً من عقائد بعض فرق الشيعة الذين يعتقدون أن الأئمة يظهرون في الأزمنة المتعددة وهم الذين ظهروا في أيام آدم ونوح وغيرهما، وتلقفه أولئك الصوفية ونقلوها إلى القطب الذي يتنوع ويسمى باعتبار لباسه ويتجلى في هذه الصور وطوّر مدلوله عندهم له ابن عربي.

والمتأمل لهذا النوع من الشطحات لا يستطيع أن يوافق الشعراني على أنها من الكمال المحمدي بل يقف في الصف الآخر الذي يراها من حيلة إبليس، ودهائه في صناعته، وحكاية صاحب(فك الأزرار عن أعناق الأسرار) تفيد غلبة المتنطعين بهذا الكلام لإبليس في قعر داره، وإتيانهم بما لا يقدر عليه فقد قال الراوي بأنه جرت له مخاطبة مع إبليس فقال: إنكم قد غلبتموني وقهرتموني فقد جرت قصة تعجبت منها مع شيخ منكم، فإني تجليت له فقلت: أنا لا إله إلا أنا فسجد لي، فتعجبت كيف سجد لي ؟ قال هذا الراوي: ذاك أفضلنا وأعلمنا ما رأى في الوجود اثنين !! فيا له من اعتراف يدل على أنهم غلبوا إبليس في جولتين لا في السجود له فحسب بل وأعجزوه في جوابهم الذي لم يحر له رداً.

وهنا ننتهي بالقارئ الكريم عند ثلاثة أمور:

> **والمتأمل لهذا النوع من الشطحات لا يستطيع أن يوافق الشعراني على أنها من الكمال المحمدي بل يقف في الصف الآخر الذي يراها من حيلة إبليس**

- صفاء عقيدة التوحيد القائمة على ساق النصوص، ووضوح المنهج الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وتربى عليه الصحابة فأخرج جيلاً فريداً قبل أن تسدد نحوه سهام المبطلين، فليشد المسلم بيديه على كتاب ربه وسنة نبيه ففيهما السلامة.

- ارتكاس التصوف في هذه المعاني التي

> **وحدة الوجود هي الراية التي حمل لواءها ابن عربي ونظمها ابن الفارض في تائيته، وتبلورت لدى كثير من المتأخرين، وتعد الغاية عندهم من سلوك الطريق،**

شكلت بمجموعها مفهومه وهي مقتبسة من منهج الفلاسفة، وعقائد الشيعة وغيرها من الموبقات ولم يعد من الزهد وإصلاح القلوب أو تزكية النفوس في شيء، فليحذر المرء من تلبيس الملبسين في هذه البابة.

- لا شك أن مثل هذه المفاهيم تلقى رواجاً لدى المناوئين للإسلام، فينبغي علينا كشف زيفها وتقديم المنهج الإسلامي الرشيد بالعلم الصحيح والعمل الصالح والدعوة إليهما والصبر عليهما فإنه سبيل أهل الفوز في الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- طبقات الأولياء للشعراني ١/ ١٥٨.

٢- قصة الشيخ عبد القادر الجيلاني في الطبقات أيضا وتتمتها: قيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات. وسئل عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية، فقال: الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت مخصوص والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً (٢١٨)، وقصة أبي ميسرة في (الموافقات) ٣١٩/٤ ونقل ابن حجر كلاماً نفيساً في (فتح الباري) فيما يتعلق باستحالة رؤية الله تعالى في الدنيا فقال في تعليقه على بعض الأحاديث: (وفيه بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهراً في دار الدنيا) وقال في آخر: (وفيه أن الله تعالى لا يراه في الدنيا أحد من الأحياء وإنما يقع ذلك للمؤمنين بعد الموت أخذا من قوله: (والموت دون لقاء الله) وقد تقدم أن اللقاء أعم من الرؤية فإذا انتفى اللقاء انتفت الرؤية) ٣٦١/١١- ٢١٣/١١

٣- ومن خبيث النظم ما ورد أيضا في تائية ابن الفارض في السياق نفسه:

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم

بمظهر حوا قبل حكم الأمومة

فهام بها كيما يصير بها أبا

ويظهر بالزوجين حكم الأبوة

وما برحت تبدو وتخفى لعلة

على حسب الأوقات في كل حقبة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة

وآونة تدعى بعزة عزت

ولسن سواها لا ولكن غيرها

وما إن لها في حسنها من شريكة

كذاك بحكم الاتحاد بحسنها

كما لي بدت في غيرها وتزيت

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

أسباب المغفرة

لابن رجب الحنبلي

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي! يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقد تضمن هذا الحديث أسبابًا ثلاثة تحصل بها المغفرة:

السبب الأول: الدعاء مع الرجاء: وهو مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...) [سورة غافر]. وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [سورة غافر]] رواه الترمذي وأبوداود وابن ماجه وأحمد.

- شروط إجابة الدعاء: الدعاء سببٌ مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتقاء موانعه، وقد تتخلف الإجابة لانتقاء بعض شروطه، أو وجود بعض موانعه وآدابه. ومن أعظم شرائطه:

- حضور القلب ورجاء الإجابة من الله: كما في قوله صلى الله عليه وسلم: [ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ] رواه الترمذي. ولهذا نهى العبد أن يقول في دعائه: [اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ]. رواه البخاري ومسلم.

- ترك الاستعجال مع الإلحاح في الدعاء: ونهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة، وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه، ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء، قال تعالى: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [سورة الأعراف]. فما دام العبد يلح في الدعاء، ويطمع في الإجابة، غير قاطع الرجاء، فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

- من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه: وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ] رواه أبوداود وابن ماجه وأحمد. يعني: حول سؤال الجنة والنجاة من النار. وقال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها.

- سبب صرف الإجابة عن العبد: ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا، فيصرفها عنه يعوضه خيرًا منها:

- إما أن يصرف عنه بذلك سوءًا.

- أو يدخرها له في الآخرة.

- أو يغفر له بها ذنبًا.

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا] قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: [اللَّهُ أَكْثَرُ] رواه أحمد.

وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله؛ موجب للمغفرة. والله تعالى يقول: [أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ] رواه أحمد والدارمي- وفي البخاري ومسلم شطره الأول- .

ذنوب العبد وإن عظمت عفو الله أعظم منها: وقوله: [إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي]. يعني على كثرة ذنوبك، ولا يعاظمني ذلك، ولا استكثره، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ لِيُعَظِّمْ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ] رواه مسلم. فذنوب العبد- وإن عظمت- فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها، وهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته. وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

يَا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنُوبِي كَثْرَةً
فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ
إِن كَانَ لاَ يَرجُوكَ إِلاَّ مُحسِنٌ
فَمَنِ الَّذِي يَدعُو وَيَرجو المُجرِمُ
مَا لِي إِلَيكَ وَسِيلَةٌ إِلاَّ الرَّجَا
وَجَمِيلُ عَفوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسلِمُ

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت العنان وهو السحاب، وقيل: ما انتهى إليه البصر منها.

وفي الرواية الأخرى: [لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَغَفَرَ لَكُمْ] رواه أحمد.

- معنى الاستغفار: والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها، وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار:

- فتارة يؤمر به: كقوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [سورة المزمل].

- وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره: كقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) [سورة النساء].

- الاستغفار المقرون بالتوبة: وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

- إفراد الاستغفار: وتارة يفرد الاستغفار، ويرتب عليه المغفرة كما ذكر الحديث، وما

الصفوة
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

أشبهه.

- الاستغفار المقبول: قيل: إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة. وقيل: إن نصوص الاستغفار المطلقة تقيد بما ذكر في آية آل عمران: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ).من عدم الإصرار، فإن الله وعد فيها بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه، ولم يصر على فعله، فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا القيد.

ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي، طلب منه للمغفرة، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، ولاسيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب، أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات.

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني! عوّد لسانك اللهم اغفر لي؛ فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلًا.

وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم؛ فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة. وعن مغيث بن سمى قال: بينما رجل خبيث، فتذكر يومًا اللهم غفرانك، اللهم غفرانك، ثم مات، فغفر له.

ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا قَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ]. والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر، والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار.

- الإصرار من موانع إجابة الاستغفار: الاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب هو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه، وإن شاء رده، وقد يكون الإصرار مانعاً من الإجابة. وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [...وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ] رواه أحمد.

- الاستغفار الموجب للمغفرة: قول القائل: أستغفر الله. معناه: أطلب مغفرته، فهو كقوله: اللهم اغفر لي. فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله، ووعدهم بالمغفرة.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره. وفي ذلك يقول بعضهم:

أستَغفِرُ اللهَ مِن أَستَغفِرُ اللهَ
مِن لَفظَةٍ بَدَرَت خالَفتُ مَعناها
وَكَيفَ أَرجُو إِجابَاتِ الدُّعاءِ وَقَد
سَدَدتُ بِالذَّنبِ عِندَ اللهِ مَجراها

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار، وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحًا وإن قال بلسانه: [أستغفر الله] وهو غير مقلع بقلبه، فهو داع لله

من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه: وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة

بالمغفرة كما يقول: اللهم اغفر لي فقد يرجى له الإجابة.

وأما من تاب توبة الكذابين فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس وهذا حق. فإن التوبة لا تكون مع الإصرار.

- أفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، كما في حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ] رواه البخاري.

- من أنواع الاستغفار: ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد، ما جاء في الحديث: [مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ] رواه أبو داود والترمذي.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ] رواه أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

- كم يستغفر في اليوم؟

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً] رواه البخاري. وعَنْ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ] رواه مسلم. وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا] رواه ابن ماجه.

- دواء الذنوب الاستغفار: وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار، قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار.

- طلب الاستغفار ممن قلت ذنوبه: ومن زاد اهتمامه بذنوبه، فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه، فالتمس منهم الاستغفار، وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: إنكم لم تذنبوا. وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكتاب قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة. فيؤمن على دعائهم.

السبب الثالث للمغفرة: التوحيد: وهو السبب الأعظم، فمن فقده؛ فقد المغفرة، ومن جاء به؛ فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [سورة النساء]. فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقاربه خطايا؛ لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.

- تحقيق التوحيد يوجب مغفرة الذنوب: فإن كمل توحيد العبد، وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت؛ أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه؛ أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيمًا، وإجلالًا، وخشية، ورجاء، وتوكلًا. وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات.

الصوفية
العدد ٢
ربيع أول
١٤٢٨هـ

محمـــد هشـــام قبـــانـــي النقشبنـــدي

محمد بن عبد الله المقدي
Almagdy3@hotmail.com

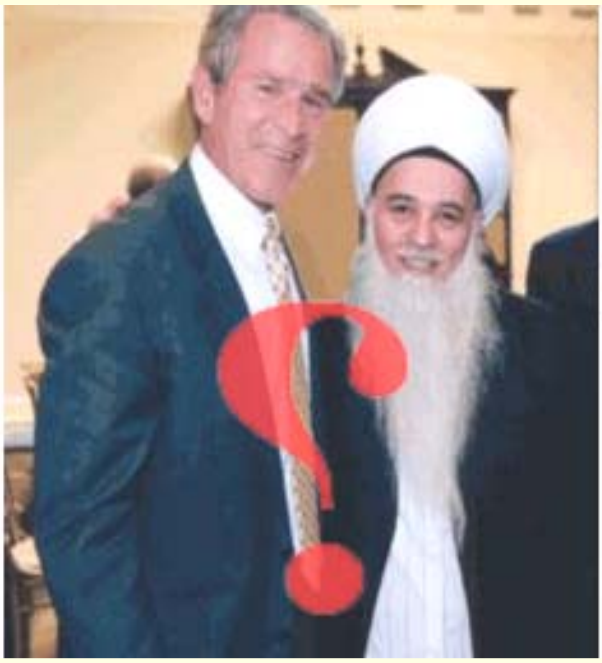

محمـد هـشام قبـاني ينتمـي للـصوفية النقشبندية وهو صهر الشيخ (ناظم الحقاني) - شـيخ الطريقـة النقـشبندية - ومندوبـه في الولايات المتحدة الامريكية ، ويمكن اعتباره حلقة الوصل الأساسية بين الإدارة الأمريكية والأوسـاط الفكريـة الغربيـة وبـين الطريقـة النقـشبندية الـصوفية، أو مـا أصـبح الآن مصطلحا رائجا في الأوساط الغربية الفكرية وهو (الإسلام الكلاسيكي).

يعتبره أنصاره العالم الواعد والمبشر بتعاليم السلام والتسامح والاحترام والمحبة، والتي هي مبادئ الإسلام كما يزعمون، والمؤمنون يعلمون كـذب تلـك الـدعاوي؛ لأنهـم يركـزون علـى الجوانـب الـسلبية في هـذه المعـاني العظيمـة وينسفون عقيدة الولاء والبراء، وقد مضى على القبـاني في الولايـات المتحـدة مـا يزيـد علـى الخمس عشرة سنة تقريبا.

أما بالنسبة لخلفياته، فهو لبناني من عائلة مشهورة فيها، هـي عائلة القباني، وقد تخرج باختصاص الكيمياء من الجامعة الأمريكية في بـيروت، وحـصل علـى شـهادة في الفقـه الإسلامي من دمشق في سوريا وهو يحمل إجازة من حقاني بقيادة وتدريس الطريقة النقشبندية.

سـاهم في تأسـيس عـدد مـن المؤسـسات في أمريكـا ، مـن أهمهـا : (المجلـس الإسـلامي الأعلى) والذي يهدف إلى رسم مستقبل المسلمين في أمريكا وفي أرجاء العالم.

وقد اعترف بهذا المجلس صانعو القرار في أمريكـا والأكـاديميون باعتبـاره المجلـس المخـتص والأفـضل في طـرح (الإسـلام الكلاسـيكي) حسب تـصنيفهم، وقـد قـدم الشيخ في يناير عام (١٩٩٩م) محاضرة في وزارة الداخلية الأمريكية بعنوان (التطرف الإسلامي وخطورته على الأمن القومي الأمريكي) وعلق فيمـا بعـد بـأن حدسـه كـان صـائبًا بتوقعـه لأحـداث (٢٠٠١/٩/١١م) وأوضـح لهـم أنهـم كـصوفيين يبقـون هـم المتحـدثون الأهـم عـن الجمعيـات الإسـلامية لمحاربـة الإرهـاب والتجمعات المتطرفة الدينية.

علمًا بأن علاقة هذا المجلس بالبيت الأبيض علاقـة قويـة جـدًا، بـل هـم يمارسـون دور المستشارين عن الإسلام ويساعدون الأمريكان في رسم سياستهم الخارجية والداخلية التي تؤثر في مـستقبل الـشعوب والمجتمعـات الإسـلامية، وعادة ما تتم المقابلات الروتينية بين أعضاء هذا المجلس وبين (بول ولـوفتس) نائـب وزيـر الـدفاع الأمريكـي لمناقـشة الإسـلام والحـرب علـى الإرهـاب... حتـى إن (ولـوفتس) لقـب الـشيخ القبـاني (بالرجـل الـشجاع والأهـم بأمريكـا)!! لأنه يبشر بالقيم مثل (كرامة الإنسان، حرية الرأي، العدالة المتساوية، احترام المرأة والتسامح الـديني)!! كمـا أن الـسناتور الجمهـوري (دايـل كلـدي) أثـنى علـى المجلـس وعلـى (مـسجد ومؤسسة الصديق) وهـو المسجد الوحيد الـذي افتتح بعد أحداث (٩/١١) ويتبع لمجلسهم وذلك في جلسة الكـونغرس في (١٦/نـوفمبر/٢٠٠١م) وقـال عـنهم أنهـم يمثلـون الإسـلام الحقيقـي المتسامح.

والقباني من الدعاة النشيطين جدًا في تبليغ دعوته، وتكفي نظرة سريعة لجدول رحلاته لمعرفة أنه قد زار تايلاند وإندونيسيا وماليزيا وأوزبكستان و باكستان والهند وسيريلانكا واليابان وتركيا وانكلترا وإسبانيا والمغرب وبلاد الشام وغيرها من الدول.

واستُقبل في هذه الرحلات - وبعضها كان مع شيخه ناظم الحقاني- استقبالاً رسميًا وعلى مستويات عليا، مما يدلل على حجم النقشبندية وكثرة مريديها، وحاجة الحكام دائمًا لأصوات تتمسح بالدين كي تساعدها.

وقد اشتهر الشيخ قباني بكراهيته لأهل السنة - الذين يسميهم وهابية- وعدائه الشديد لهم، حتى إنه لما سئل في جريدة (صنداي استريت تايمز)[1]:

هل تقول إن الوهابية هي المصدر الرئيسي للإرهاب؟

أجاب: (بالطبع نعم؛ فإن الإسلام ظل مسالمًا ولا يسمح بالعدوان، إلا أن أصحاب المذهب الوهابي نشروا الأفكار المتطرفة ومولوها بأموال النفط اليوم نجد الوهابية في كل مكان وليست فقط في السعودية، وإذا ذهبت إلى أي مسجد ستجد الكتب القادمة من السعودية عن محمد بن عبد الوهاب (مؤسس الوهابية) ولن تجد إلا الكتب التي كتبها علماء السعودية).

• تحريض القباني للحكومة الأمريكية ضد أهل السنة:

وقد قامت وزارة الخارجية الأمريكية بنشر وتوزيع جلسة استماع للشيخ محمد هشام قباني، وقد جاء نشر هذه الأشرطة بعد مطالبات عديدة من قبل مؤسسات إسلامية للاطلاع على فحوى جلسات الاستماع التي لم يعلن عنها، والتي طلب من الراغبين في حضورها الحصول على تصريح أمني للحضور.

وقد تطرق قباني في هذه الجلسة، لقضايا الأمن القومي والتطرف ولأهمية وخطورة ما ذكر في الجلسة نقتطف منها بعض المقاطع،

بدأ قباني حديثه قائلًا: (إننا نريد أن ننصح حكومتنا الأمريكية وأعضاء الكونغرس أن هناك شيئًا كبيرًا يدور وأنتم لا تعرفونه، وهو أنه يوجد العديد من المساجد في الولايات المتحدة، وأن الحكومة الأمريكية ليست لها سياسة تجاه هذه المساجد لتنظم عملها كما هو حاصل في الدول الإسلامية حيث لا يسمح بفتح المساجد هكذا، ولهذا لا يوجد فكر متطرف في هذه الدول الإسلامية، وإن وجد تقوم الحكومة بطردهم من المساجد وإبدالهم بالعلماء التقليديين

تشيني مع محمد هشام قباني

وأخطر شيء يدور في هذه المساجد هو هذا الفكر المتطرف، وأصحابه نشيطون للغاية، وهؤلاء سيطروا على (٨٠٪) من المساجد في أمريكا والتي يصل عددها إلى ثلاثة آلاف مسجد ولهذا يمكن القول أن الفكر المتطرف هذا ينتشر بين (٨٠٪) من المسلمين خصوصًا الشباب الجيل الجديد...)

ويضيف قائلاً: (لقد نصبوا العداء للصوفية بشكل مطلق؛ لأنهم - أي: الوهابيين- يؤمنون أنه بإمكانك أن تصل إلى الله مباشرةً دون الحاجة لقديس- ولي- أو أي شخص آخر بإمكانه مساعدتك، المسلمون التقليديون، وعلى مر (١٣٠٠) إلى (١٤٠٠) سنة - وإلى يومنا هذا- يؤمنون أنه بالإمكان أن يكون هناك وسيط بينك وبين الله. هذه العقيدة - الوهابية- تحرم هذا الأمر تحريماً كاملاً، و لكنها لم تتخذ طابعاً تنظيمياً إلا من فترة قريبة، حيث تمكنت من دعم تواجدها في عدة مناطق في العالم، للأسف، فقد تنامى نفوذهم في بلدان عديدة).

ويستمر في قوله: (وتم مؤخرًا الكشف في أوروبا بين لندن وفرنسا وكل أوروبا عن شبكة كبيرة من النساء - صحيفة عربية ادعت ذلك- تديرها نساء مسلمات يتغطين من فوق إلى تحت خلال النهار، أما في الليل فيقمن علاقات مع مسؤولين كبار من مختلف دول العالم للحصول على المعلومات منهم وتوصيلها للمتطرفين)!!

ثم دار الحديث عن إسرائيل فقال قباني في معرض جلسة الاستماع: (وحتى في إسرائيل حيث وقعت اتفاقية سلام معها، ولا أقول: إنها قبلت من كافة الدول الإسلامية، لكن معظمها قبلها ووافق عليها، ولذا فإن القتال أصبح غير شرعي، وخصوصًا في ظل وجود قيادة شرعية ديموقراطية منتخبة من قبل الفلسطينيين ممثلة في عرفات).

وفي رده على سؤال بعض الحضور : إذا ما أنتخبت حكومة إسرائيلية متطرفة تخلف الحكومة المتطرفة الحالية، هل من المصلحة لنا أن ندين هذا التطرف؟ وهل هذه الإدانة ستقربنا من المسلمين وتعمل على حمايتنا في الولايات المتحدة؟؟

أجاب قباني قائلاً: (علينا أولاً أن نرى إن كان الافتراض صحيحًا، وهل ستكون هناك حكومة متطرفة أم لا، وما هو تعريف التطرف وغير التطرف.. هذه قضية راجعة للشعب الإسرائيلي، ولذا لا أستطيع القول بأن الحكومة متطرفة أم لا.. هذا راجع للشعب الإسرائيلي..).

الهوامش

(١) جريدة صنداي استريت تايمز لبتأريخ (٢٠٠٤/١٢/١٢م). وللتوسع انظر بحث التصوف بين التمكين والمواجهة .

مؤتمر صوفي برعاية إسرائيلية

عقدت أكاديمية القاسمي في باقة الغربية بالاشتراك مع الجامعة العبرية في القدس مؤتمراً هو الأول من نوعه في إسرائيل حول: التصوف في فلسطين، في الماضي والحاضر، وذلك في يومي الأربعاء والخميس (٢٦-٢٠٠٦/٤/٢٧م).

سلسلة من (١٧) مقالاً من الردود تنتهي ببراءة منها

الكتاب الذي ثارت حوله الردود

بعد أن كتب سلسلة مطولة من الردود، تبرأ الشيخ الأزهري طاهر رمضان عبد الرزاق من مجموعة مقالاته التي كتبها رداً على كتاب "عقائد الصوفية" للأستاذ محمود المراكبي، وجاءت تبرئة الذمة و إعلان توبة في العدد الأخير من مجلة التوحيد التي تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، تحت لتسدل الستار عن فصل جديد من فصول التهجم على السنة تحت مسميات من بينها الدفاع عن التصوف، وحماية آل البيت ومثل ذلك من المسميات.

وقد نشر الشيخ الذي يعمل إماماً وخطيباً بأوقاف مدينة السويس ردوده التي حملت عنوان "خطايا المراكبي" على صفحات مجلة "الإسلام وطن" التي تصدرها الطريقة العزمية بمصر، على سبعة عشر مقالا.

ولكن الشيخ وبعد ان اعتذر عما كتبه من قبل أكد أن الباعث على الرد لم يكن طلباً لدنيا أو تحقيقاً لغرض أو عرض وإنما كان الدفاع عن التصوف.

وذكر الشيخ طاهر أن ما رآه من تعاطف بعض الطرق الصوفية مع الشيعة والذي سبق لكاتب الإعلان أن تعاطف معهم، حتم عليه أن يتوقف ليراجع نفسه، خاصة بعد أن اكتشف حقيقة الشيعة من خلال ممارساتهم الواضحة في الفترة الأخيرة والتي منها إعدام الرئيس العراقي صدام حسين بصورة استفزت مشاعر المسلمين، وقيامهم بإبادة أهل السنة بالعراق، وما تبثه قنواتهم الفضائية مثل الفرات والأنوار والكوثر من سب وطعن في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بطريق مباشر وفي حق أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بطريق غير مباشر.

وكان الدكتور محمد عمارة المفكر والكاتب المصري قد اتهم الطريقة العزمية بالوقوع في ظاهرة التكفير، وهو أمر واضح في غالب إصداراتها.

وفي تصريح له لمجلة الصوفية قال الشيخ طاهر عبدالرزاق أنه لا يحب أن يثير كثير كلام الآن حول الصوفية التي قضى فيها جل عمره (٣٦) عاما لكنه أكد على أنه في فترة مراجعة للذات، وأنه موقر لنصوص الكتاب والسنة متبع لها، أن كل ما ثبت مخالفته للكتاب والسنة فهو مضوع عنده ولا قيمة له.

وألمح الشيخ لبعض المضايقات والضغوط التي تمارس عليه في الفترة الحالية جراء موقفه الشجاع، وقد أثنى الشيخ طاهر على الأستاذ محمود المراكبي وقال: لم أكن أعرفه حين رددت عليه، ولكن حين جرى بيننا اتصال مؤخرا وجدته شخصا مهذبا طيب الأخلاق، وهو ما دفعني لإعادة النظر فيما كتبت.

وكان الشيخ طاهر قد دعا في إعلانه المذكور لى مقاطعة كل طريقة تتعاطف مع الشيعة الذين أجرموا وشاركوا في تدمير العراق وقتل الأبرياء، كما قدم عذره واعتذاره إلى كل مسلم قرأ ما كتب وكان سبباً في إزعاجه..

وأكد الشيخ طاهر لمجلة الصوفية عن رجوعه عن كل قول أو عمل أو حال خالف الكتاب والسنة من ممارسات، وهو ما يحمد للشيخ الذي يعد موقفه جريئاً.

يذكرأن الطريقة العزمية والتي يترأسها الكيميائي علاء الدين ماضي أبو العزائم، تتبنى موقفا حادا من الحركات الإحيائية السنية على مختلف صورها، بينما تفسح المجال أمام عدد من الأقلام المتشيعة أو المتأثرة بالتشيع للكتابة في المجلة، وقد رصد من خلال المؤتمرات التي تعقدها الطريقة بصفة سنوية تحت عنوان السيدة الزهراء في القاهرة، مدى اختراق الفكر الشيعي لهذه لطريقة.

مصر: ٥٢ مليون جنيه الحصيلة الرسمية للنذور العام الماضي

صندوق نذور ضريح إبراهيم الدسوقي الذي انتشرت حكاياته في الصحف منذ عدة أعوام

قال وزير الأوقاف المصري: إن حصيلة النذور في الفترة من (٢٠٠٥/٧/١) الي (٢٠٠٦/٦/٣٠) بلغت (٥٢) مليوناً و(٦٧) الفاً و(٥٧٩) جنيها.وهو العام المالي الماضي.

وأكد في حوار مع صحيفة الأخبارالمصرية أن الوزارة قد اتخذت إجراءات مشددة في مصادرة جميع أموال النذور بعيداً عن خدام الأضرحة وخلفائها ،وكانت وزارة الأوقاف قد أصدرت قانونا ينظم عملية جمع النذور والتي كانت تجمع من الأضرحة،ويستولي عليها أرباب الطرق وخدام الأضرحة،ويشير بعض المتابعين إلى أن تأميم عملية النذور رغم ما فيها من مخالفات شرعية وتلبيس على الناس باسم الأولياء من شأنه أن يخفف من غلواء الخرافات التي كانت تنتشر حول القبور والأضرحة، لكنه أشار من جهة أخرى إلى وجود روافد جديدة للتمويل من خلال المساعدات الغربية التي بدأت تتدفق بسخاء خاصة بعد أحداث سبتمبر، بالإضافة إلى رعاية كل من النظام الإيراني والليبي للصوفية والذي من شأنه أن يفتح الباب على ما هو أكثر من النذور كما من شأنه أن يحدث تغييراً كبيراً في ترتيب الطرق الصوفية وإمكانية الاعتراف بطرق غير رسمية مثل الطريقة البرهانية.. وقد أثار قانون الأوقاف حفيظة عدد من خدام الأضرحة حيث أنه استثنى فقط خدام ضريح البدوي من القانون وفق نسب مقننة لكل من شيخ المسجد وخليفتي القبر وخدام الضريح، وكانت أموال النذور من قبل سببا في إثراء فئة ارتبطت بنشر البدع والخرافات من أجل جمع أكبر قدر من الأموال ، ويرى بعض المراقبين أن اكتشاف كثير من الناس الذين كانوا ينذرون للقبور قد أحجموا عن النذر بعد أن اكتشفوا حقيقة ما كان يجري لتلك الأموال.

موقع الصوفية

إضائة لتزكية النفس وتصحيح المسار

الراصـــــــــد

الطرق الصوفية

أئمة الزهد المرضيون

لقطة وتعليق

الهدي النبوي

الطريق نحو التزكية

شبهات وبيان

موقع الصوفية

www.alsoufia.com

منتديات الصوفية

www.alsoufia.org/vb

موقع المولد النبوي

www.alsoufia.org/mawled

موقـــع المجـهر

www.almijhar.net